جامعة الحمدانية

كلية التربية- قسم اللغة العربية

الميسر

في

علم اللغة

جمع وإعداد

أ. د هاني صبري علي

فقه اللغة وعلم اللغة

يعرف علم اللغة على أنه دراسة اللغة بشكل علمي، ويختص بدراسة اللهجات والأصوات في اللغة، بالإضافة إلى الدراسات المقارنة، وفقه اللغة هو الغوص في محيط اللغة لغرض لفهمها، وكشف أسرارها، بالإضافة إلى معرفة مراحل تطورها، كما أنه يضم الدراسات التي تهتم بنشأة اللغة ودلالات ألفاظها وتطورها عبر التاريخ، وهذه التعريفات هي في الغالب الأعم، وسوف نورد في هذا المقال تعريفات أوسع ونوضح الفرق بين المصطلحين.

تعريف فقه اللغة

يعرف فقه اللغة اصطلاحاً على أنه العلم الذي يهتم بدراسة اللغة ذاتها وقضاياها؛ أي أنه يدرس أصواتها، وتركيباتها، ومفرداتها، وخصائصها الصوتية والنحوية والصرفية، ودلالة الألفاظ، وما بينها من علاقة، وما قد يطرأ عليها من التغييرات، كما يهتم بدراسة اللهجات، ومنشئها واحتكاكها ببعضها، وتاريخها، وما تواجهه اللغة من مشكلات وقضايا تثار حولها، وهو العلم الذي يحاول كشف أسرار اللغة ومراحل تطورها.

تعريف علم اللغة : يعرف العلماء علم اللغة على أنه العلم الذي يهتم بدراسة بنية اللغة، وذلك من حيث أصوات بناء الكلمات والجمل ودلالتها، كما أن علم اللغة يعنى بدراسة الفصائل اللغوية، والغوص في الاشتقاقات، والترادف، والتضاد، بالإضافة إلى النحت.

الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة : يقول بعض العلماء أنّ مصطلح فقه اللغة ومصطلح علم اللغة مصطلحات مترادفة، حيث إنهم يعطونهما تعاريف متداخلة ومتشابهة بعض الشيء، ورأيهم أكثر ميلاً للقول بأنّ الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة قد يكون في الغرض والهدف، ولا سيما أن البعض الآخر يرى أن كلا المصطلحين له دلالة خاصة به، ولكل منهما مفهومان مختلفان، وعلماء ومختصون ودارسون،

ووضع هؤلاء العلماء بعض الفروقات نوجزها بالآتي: الفرق من حيث المنهج: علم اللغة يعنى بدراسة اللغة لذاتها، أما فقه اللغة فهو يعنى بدراسة اللغة، وذلك لكونها وسيلة مهمة لدراسة حضارة الشعوب. الفرق من حيث الزمان: فقه اللغة سبق علم اللغة من الناحية الزمانية. الفرق من حيث نطاق الدراسة: فقه اللغة أوسع نطاقاً وأشمل ميداناً من علم اللغة؛ فهو يختص بدراسة تقاسيم اللغات، ومقارنة بعضها بالآخر، ويشرح النصوص القديمة، أما ميدان ونطاق علم اللغة فجل تركيزه على الوصف والتحليل. الفرق من حيث الوصف: علم اللغة اتصف بأنه علم منذ نشأته،

ولم يصف أحد أبداً فقه اللغة بأنه علم. الفرق من حيث العمل: علماء علم اللغة يهتمون بالوصف التقريري، أما عمل فقهاء اللغة فهو تاريخي بحت مقارن في معظمه .

علاقات علم اللغة بالعلوم الانسانية الاخرى:-

تشترك العلوم الانسانية في اهتمامها باللغة بوصفها اهم مظاهر السلوك الانساني ووسيلة الاتصال المكونة للجماعة الانسانية.

وليس اللغويون هم الذين يهمون بدراسة اللغة، بل يشاركهم في هذا الاهتمام علماء آخرون ينتمون الى تخصصات علمية مختلفة. ومن المعروف ان هناك ظواهر لغوية لا يستطيع عالم اللغة ان يسهم فيها بشيء، وكل ما يستطيع ان يفعله ازاءها هو ان يستشير العلوم الاخرى المتخصصة ويطلب منها العون.

فدراسة اللغة من الناحية الصوتية مثلاً تعود الى (علم وظائف الاعضاء) (physiology).الذي يقوم بدراسة اعضاء النطق عند الانسان، ويساعده في ذلك (علم التشريح/ ahatomy). ويدرس (علم الفيزياء physics) الامواج الصوتية في الهواء فيما بين المتكلم والسامع.

هذه العلوم لا يستطيع علم اللغة أن يستغنى عنها، بل لابد أن يمدّ اليها يده يلتمس منها العون في تفسير الظاهرة اللغوية.

وثمة فروع اخرى من المعرفة النظرية يربطها بعلم اللغة رباط وثيق منها علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على انها من اهم مقومات المجتمع البشري ومنها علم النفس الذي يدرس اللغة بصفة عامة وعلاقتها بالعقل الانساني . ومنها علم الجغرافيا الذي استفاد منه اللغويون في عمل الاطالس اللغوية.

علم اللغة الاجتماعي:-

وهو دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع ولابد من ان نشير الى ان اللغة لا تحيا الا في ظل مجتمع انساني وعلى هذا فاللغة: نشاط اجتماعي لأنها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالاً شديداً بالعلوم الاجتماعية واصبحت قسم من بحوثه تدرس في علم الاجتماع فتنشأ لذلك فرع منه يسمى ب(علم اللغة الاجتماعي). يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية واثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة.

علم اللغة النفسي:-

ترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس الى طبيعة اللغة اذ انها احد مظاهر السلوك الانساني ،فإذا كان علم النفس يعني بدراسة السلوك الانساني عموماً فإن دراسة السلوك اللغوي تعد احد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس وقد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية اذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها فهي غير مكتملة وكذلك الدراسة النفسية عليها ان تستعين بمعطيات علم اللغة ومن ثم حدث الامتزاج ين علمي اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء (علم اللغة النفسي).

لقد اهتمت (المدرسة السلوكية) بالسلوك اللغوي ، وكان لها اثر كبير في البحث اللغوي الامريكي في النصف الاول من القرن العشرين. ولابد من الاشارة الى ان هناك فرقاً بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة ،فعلم اللغة يهتم بالعبارات المنطوقة عند صدورها في الجهاز الصوتي واثناء مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها. والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي ، فاللغويون يهتمون باللغة عند صدورها ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس وعندما تصل اللغة الى الجهاز السمعي للمتلقي ويقوم بنقلها الى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية اخرى يبحثها علم النفس ايضاً. أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل الى المتلقي في اللغة ،وهي مجال البحث في علم اللغة. وهناك فرق اساسي بين منهج اللغويين ومنهج علماء النفس تجاه الظواهر اللغوية، فقد صرف علماء النفس جهدهم الى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الانساني، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة مثل التعلم والادراك والقدرات، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه. ففي بحث قضية التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلّم ،بل كان اهتمامهم

مركزا على عمليات التعلّم بحسبانها عملية عقلية، وفي السنوات الاخيرة حاول بعض الباحثين النظر الى اللغة من الجانبين، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس بحسبانها ضرباً من الاستجابات فحسب، بل البنية اللغوية في ذلك ايضاً.

ويتضح من هذا من مقابلة الدراسات السابقة حول اللغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة فهي تبحث الموضوع نفسه بطريقة اللغويين، اي بتحليل لغة الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية.

فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة الى رموز لغوية وهذه عملية عقلية تتم عند الانسان وينتج عنها اصدار الجهاز الصوتي للغة. وعندما تصل اللغة الى المتلقي ويقوم بفك هذه الرموز اللغوية في العقل الى المعنى المراد ،تتم عملية عقلية اخرى تدخل في اطار علم النفس ايضاً امّا تلك الرموز الصوتية التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء الى المتلقي فهي مجال البحث في علم اللغة.

ويهتم علم اللغة النفسي بالأمور التي تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الانساني مثل اكتساب اللغة وادراك الكلام ،وطبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير، وعلاقة اللغة بالشخصية، ووظيفة اللغة في حالة الصم، ودراسة عيوب الكلام.

علم اللغة والجغرافيا الاطلس اللغوي:-

عرفنا أن علم اللغة له صلة وثيقة بعلوم اخرى كعلاقتها بعلم الاجتماع، وعلم النفس ، وعلم وظائف الاعضاء (الفسلجة) وعلم التشريح ، وعلم الطبيعة في دراسة الاصوات اللغوية بأنواعها المختلفة. ونحن نتحدث هنا عن صلة علم اللغة بعلم الجغرافيا، فقد اقتبس علم اللغة ،طرق علم الجغرافيا ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وتفرق بين لهجة واخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا الا فيما يدون عليها من ظواهر لغوية تطلع القارئ على أدق الفروق في الاصوات والمفردات بين اللغات المختلفة واللهجات المتباينة. وتطلعنا أيضا على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة.

ولاشك في أن المسح الجغرافي للهجات العربية المختلفة في البلاد العربية له فوائد جليلة اهمها:-

1-دراسة هذه اللهجات لذاتها، دراسة علمية عميقة ،لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والدلالة والتركيب ولمعرفة التغيرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت لآخر.

مناهج علم اللغة

1- المنهج الوصفي (البنيوي)

ظهرت في أوربا بوادر المنهج الوصفي الذي أرسى أساسه العالم اللغوي دي سوسير، ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي ، فهو يعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بنفسه ، قال دي سوسير : ((إن موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاته)) . وابتعد بذلك عن النظر في اللغات من وجهة النظر التأريخية أو المقارنة ، مؤكداً وصف اللغة في مدة زمنية محددة ليصل من هذا الوصف الى القواعد أو القوانين العامة التي تحكمها أو يتوصل على الأقل الى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها ، لذلك يُشار دائما الى المنهج الوصفي في علم اللغة بأنه (علم ساكن static ، ففيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة ليس ضرورياً أن تكون في الزمن الحاضر .

وللمنهج الوصفي أسس عامة تتوزعها أفكار تنظيمية للمنهج وقواعد عملية في التحليل ، منها أن الوصف لأية لغة ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة الى الصورة المكتوبة ، باعتبار أن للغة وجهين : وجه الكلام وهو الذي تنصرف إليه الوصفية بأهمية خاصة ، ووجه الكتابة ؛ لذلك آثر الوصفيون تقسيم اللغة الى لغة الكلام ولغة الكتابة ، الأولى هي المادة الأساس لعملية التحليل اللغوي ، والأخرى هي الصورة أو الشكل لهذا التحليل .

ومن هذه الأسس كذلك ، العناية بالمنهج الشكلي والوظيفي للغة لمنحها الاستقلالية البحث عن مناهج العلوم الأخرى وخاصة علم النفس وعلم الاجتماع ، وتطبيقها على فروع الدراسات اللغوية . والقصد من الشكلية والوظيفية في تحليل الظاهرة اللغوية ألا يتخذ علم اللغة نقطة بداية له من أي علم آخر غير علم اللغة نفسه . ويتخذ الوصف ثلاثة طرق متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية وصولاً منه الى تقعيدها . وهي استقراء المادة اللغوية مشافهة ، ثم تقسيمها أقساماً وتسمية كل قسم منها ، ثم وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام لنصل بعد ذلك الى وضع القواعد الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء ، فيكون البدء بالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهم الأسس التي يعتمد عليها الوصف بخلاف المعيار الذي يبدأ بالتقعيد كما سنلاحظ ذلك في المنهج المعياري ، ومن ابرز سمات المنهج الوصفي ما يأتي :

1- الاهتمام باللغة المنطوقة ، وجعلها هدف البحث اللغوي ،وذلك لأن التغيرات تظهر على اللغة المنطوقة بشكل أدق من اللغة المكتوبة ، فيبين النطق أثر التعاملات

الصوتية في المستوى الصوتي ، ووظيفة النبر في المستوى الصرفي ، ومهمة التنغيم في المستوى النحوي في حين لا يظهر هذا في الكتابة .

2- الاقتصار على الجانب الشكلي في وصف الظاهرة اللغوية ، والابتعاد عن التصور المعنوي المتخيل في عقل الإنسان أثناء الكلام .فالمنهج الوصفي يوصف بأنه (شكلي) أو(صوري) بمعنى أنه ينظر الى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها اللغة ثم يضعها على أسس معينة ، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفاً موضوعياً ولا يضع لهذه اللغة تصورا غير ما يدل عليه الشكل الظاهر لهذه اللغة المدروسة .

3- التفريق بين (منطق اللغة) و(المنطق الارسطي) ، فالأول مقبول ومعترف به في دراسة اللغة ، والأخير مرفوض دخيل على تلك الدراسة ، والمقصود بمنطق اللغة : التفكير المنظم في تناول مظاهرها وعناصرها وتقسيم فصائلها وأنواعها ، أما الآخر أي المنطق الارسطي فهو منطق الفلاسفة وطرقهم في دراسة العلوم والمعارف وهذا لا يصلح لدراسة اللغة لأنه دخيل عنها ويؤدي الى الجدل والاضطراب .

فالمنهج الوصفي : منهج لغوي خالص يصف اللغة المدروسة كما هي . فيبين ما لعناصرها من خصائص ومميزات ، وما بينها من علاقات ، دون إقحام العوامل الذاتية من فروض وظنون وآراء شخصية .

4- الاهتمام باللغات الحية و العزوف عن دراسة اللغات القديمة ، لأن المنهج الوصفي يهتم بواقع الظاهرة اللغوية لا بتاريخها .

5- الاعتماد عليها في مجال التعليم ، فقد عمدت الدراسات التعليمية الى اتباع المنهج الوصفي

في وضع الكتب التعليمية ، وهو منهج يستهدف وصف الظاهرة اللغوية دون مقارنتها ، أو دون الوقوف على مراحل تطورها التي سبقت بل يصفها كما هي ، من حيث اطراد القواعد وشيوعها . والذي ينعم النظر في تاريخ دراسة اللغة العربية على ضوء الدراسة الوصفية التي تقدم الحديث عن أسسها وميزاتها يرى محاولة جدية لإنشاء منهج وصفي لدراسة اللغة .

ويتمثل المنهج الوصفي لدى الدراسين العرب الأوائل فيما يأتي :

1- طبيعة الدراسة كانت على وفق مقتضيات المنهج الوصفي وذلك بجمع اللغة ثم استقراء القواعد منها .

2- حددوا البيئـــة التي يصـح أخـذ اللغـة عنها ، فحصروها في مناطق البادية . معتبرين أن لغة الحواضر وأطراف الجزيرة لا تمثل اللغة العربية تمثيلاً صحيحاً لتعرضها لمؤثرات أجنبية .

3- دراستهم للغة على أنها لغة منطوقة لا لغة مكتوبة .

4- إن الصفة الغالبة على تصنيفهم كانت تقريرية ، في الغالب ، وهذا ما نشاهده إجمالا في أعمالهم المبكرة ، وبخاصة في كتاب سيبويه ، وكلمة الكسائي في ذلك مشهورة ، حين سئل في مجلس يونس ، عن قولهم : (لأضربن أيُّهم يقوم) لم لا يقال : لأضربن أيَّهم ((أيّ هكذا خلقت)) و(هكذا خلقت)هي جوهر المنهج الوصفي .لأنه لم يخرج من الوصف إلى التعليل.

5- إن دراستهم للغة شملت مستويات اللغة كافة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية وهذا ما يدعو إليه المنهج الوصفي الحديث .

إن المنهج اللغوي عند العرب ابتدأ وصفياً على العموم ولكنه لم يستمر على هذا النحو . بل تحول تدريجياً الى المنهج المعياري .

2-أثر الدراسات في العربية الفصحى نفسها، اذ يتيح لنا المسح الجغرافي ،كتابة تاريخ هذه اللغة في عصورها المختلفة، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة اقرب اللهجات العربية صلة باللغة الفصحى وابعدها عنها.

3-يمدنا بالمعلومات اللازمة لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي ،و يفسر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللهجات في تراثنا العربي.

4-يتيح لنا هذا العمل ، فرص الدراسة المقارنة لا بين اللهجات واللغة الفصحى فحسب ولكن يبين اللغات السامية المختلفة كذلك ويقصنا على مصادر الكلمات الاجنبية هنا وهناك. .

هذه علاقة علم اللغة بالجغرافيا أومايسمى ب(الاطلس اللغوي).

فكرة قطع الشطرنج عند دوسوسير

عند الحديث عن اللغة لن تجد استعارةً أو تشبيهًا أشدّ حضورًا من استعارة «اللغة لعبة الشطرنج»، وفي العموم يكمن جوهر أيّ استعارة في أنها تتيح لنا أن نقبض على مفهوم ما، غامضٌ أو غير واضحٍ بصورة كافية؛ من خلال مفهومٍ أو شيءٍ آخر أشدّ وضوحًا في تجربتنا، فالاستعارة ليست زخرفًا من القول أو مظهرًا لغويًا وفقط؛ بل إنها وسيلة تتيح لنا فهم العالم.

ظهرت استعارة «اللغة لعبة شطرنج» بصورة جليّة على يد مؤسس اللسانيات الحديثة «فردينان دي سوسور»؛ استخدم سوسور تلك الاستعارة لتقريب وتوضيح مفاهيم النظام الآني والقواعد وقيمة المكونات؛ فقبل سوسور كانت السيادة في الدرس اللغوي للتوجه التاريخي؛ الذي يهتم بتتبع ومقارنة تطور اللغة، فاللغويون قبل سوسور كانوا ينظرون إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الأصوات، فقط تلك العناصر المادية التي يمكن نطقها وسماعها ولها خصائص فيزيائية معينة.

النقد الذي وجهه سوسور للمدرسة التاريخية هو اعتبارهم اللغة مجموعة أصوات وإهمالهم خاصية «النظام»؛ فالبيت ليس مجموعة من الأحجار والإسمنت والخشب، ولكنه أيضًا ترتيب ورصف لتلك العناصر، لذا استخدم سوسور استعارة «اللغة لعبة شطرنج» لنقد المدرسة التاريخية وإبراز أهمية النظام في اللغة، ففرق سوسور بين الدراسات التعاقبية والتزامنية باستخدام تلك الاستعارة؛ فاللغة كرقعة الشطرنج حيث يتغير وضع الرقعة باطراد في كل نقلة يقوم بها أحد اللاعبين، وفي كل وضع (لحظة معينة) يمكننا وصف الرقعة وصفًا كاملا بتحديد مواقع قطع الشطرنج على الرقعة؛ وهو ما يمكن فعله مع اللغة، حيث يمكننا وصفها وصفًا كاملا في كل مرحلة زمنية من مراحلها، وعلى رقعة الشطرنج لا يهمنا في كل مرحلة معينة ما حدث سابقًا؛ فلا يهمنا عدد النقلات السابقة، أو ترتيبها، أو نوعها؛ بل إن ما يهمنا هو التشكيل المقام على الرقعة في لحظة ما، ويمكننا أن نصف الوضع الحالي على الرقعة وصفًا تزامنيًا دون الرجوع لما سبق، وكذا في اللغة التي تتطور تطورًا مطردًا من مرحلة زمنية لأخرى؛ فسوسور يرى وجوب وصف اللغة في مرحلة زمنية معينة دون النظر لوضع اللغة السابق أو ما يمكن أن تئول إليه في المستقبل.

اللغة عند سوسور إما أن توجد ككيان كليّ أو لا توجد إطلاقًا، فننظر إليها كتشكيل على رقعة شطرنج لا يهم كيف وصل لهذه الصورة، ولكنّ كيفية التعاطي مع الوضع القائم على الرقعة.

فاللغة عند سوسور إما أن توجد ككيان كليّ أو لا توجد إطلاقًا، فننظر إليها كتشكيل على رقعة شطرنج لا يهم كيف وصل الشكل لهذه الصورة.. ولكنّ المهم هو كيفية التعاطي مع الوضع القائم الموجود على الرقعة.

وتسمح استعارة «اللغة لعبة شطرنج» بتفسير نظرة سوسور إلى قيمة الرمز اللغوي التي تتحدد بقيمة الرموز المتجاورة داخل نظام اللعبة؛ ففي النسق أو البنية لا يكون للعنصر الفردي أي معنى خارج حدود تلك البنية؛ فطبيعة أو شكل الرمز هنا أمر ثانوي مثلما هي طبيعة المادة التي صنعت منها قطع الشطرنج -خشبًا كانت أم عاجًا أم أزرار قمصان- فما دامت قواعد اللعب هي نفسها؛ فالأهم هو العلاقة التفاضلية والتمايزية بين القطع وليست قيمتها في نفسها.

ونجد الفليسوف النمساوي لودفج فتجنشتاين استخدم «استعارة اللغة لعبة شطرنج» وتوصل إلى استنتاج مشابه لما طرحه سوسور؛ حيث نجده في «رسالة منطقية فلسفية» يقول: «ليس لشيء معنى إلا القضية، فلا يكون لاسم ما معناه إلا وهو في قضية»، ويؤكد كذلك نفس المعنى -حتى بعد تخلّيه عن الذرية المنطقية- فيقول في «الكراسة الزرقاء»: «ليس للرمز حياة خارج النظام»، فلا وجود للجزء خارج علاقته بالكل، بل إن العلاقات المكونة للكل هي التي تحدد وجود الجزء؛ فالنظام هو الذي يربط بين مختلف مكونات اللغة، ولا توجد اللغة بدونه، فالعلامة أو الجملة تأخذ معناها في نظام العلامات الذي تنتمي إليه.

يستخدم فتجنشتاين المتأخر استعارة «اللغة لعبة شطرنج»، ليؤكد نظرته الجديدة للمعنى؛ فيقول في كتابه تحقيقات فلسفية:

حينما يبين الإنسان لشخص آخر؛ الملك في لعبة الشطرنج، ويقول: «هذا هو الملك»، فإنه لا يفيده بشيء عن كيفية استخدام هذه القطعة، ما لم يكن يعرف من قبل قواعد اللعبة، باستثناء هذه النقطة الأخيرة وهي شكل الملك، يمكنك أن تتخيل أنه قد تعلم قواعد اللعبة؛ بدون أن يكون قد رأى على الإطلاق قطعة فعلية. إن شكل قطعة الشطرنج يناظر هنا صوت الكلمة أو شكلها.

يؤكد الاقتباس السابق على فاعلية اللغة، فليست اللغة بنية صورية بالطريقة التي نجدها عند فتجنشتاين المبكر في الرسالة، بل هي فعاليات تحكمها قواعد؛ واللغة -أو ألعاب اللغة- والشطرنج يشتركان في عملية تبادل الأدوار بين اللاعبين، ويُعدّ احترام قواعد اللعبة قيمة اجتماعية مهمة تتيح إمكانية اللعب نفسه، وتكتسب النقلة في الشطرنج معناها من السياق العام للعبة؛ كما في اللغة حيث يكون التفكير في القضية؛ حركة في لعبة اللغة، تستمد تلك الحركة معناها من اللعبة التي هي جزء

منها، وقيم قطع الشطرنج – أو الرموز اللغوية- تتعلق بموقعها وطريقة تحركها، بغض النظر عن المادة التي صنعت منها وشكلها.

التشابهات العديدة بين اللغة والشطرنج تفسر لنا أهمية استعارة «اللغة لعبة شطرنج» في بنينة جزء مهم من تصور فتجنشتاين المتأخر للغة، فأهم مفاهيم فلسفته المتأخرة؛ مفهوم «الألعاب اللغوية» نجده محكومًا بطبيعته بقوانين الاستعمال، حتى «إذا تعين علينا أن نسمي أيّ شيء يكون حياة للعلامة، فلابد أن نقول إنه هو استعمالها».

فاللعبة لا تكون لعبة إلا إذا احتكمت إلى قواعد مهما كانت تلك القواعد بسيطة أو حتى متناقضة؛ وتلك القواعد الموجودة في ألعاب اللغة تشبه تلك التي تنظم حياة الناس الاجتماعية؛ فاللغة جزء لا يتجزأ من حياة المتحدثين بها، حيث يماثل مفهوم «شكل الحياة» فكرة اللغة كلعبة، وهو ما يدفعنا إلى رؤية لغتنا مطمورة داخل أفق سلوكنا غير اللغوي؛ فعلى اللعبة اللغوية أن تبرز أنّ تكلم لغة ما يعدّ عملا أو شكل حياة»، أي أن هنالك تعالقا بين اللغة ومؤسساتنا الاجتماعية، فلا توجد اللغة إلا مقترنة بشكل حياة، واللغة ذاتها مؤسسة لا تتم على انفراد ولو لمرة واحدة، فهي فعل وعمل وممارسة اجتماعية؛ حيث إن فهم مجموعة من الناس لشكل حياتهم يعني إجادة الألعاب اللغوية الضرورية لممارستهم اللغوية الخاصة بهم، فلا وجود لفهم متبادل خارج تجربة المجموعة اللغوية المتشكّلة في «شكل الحياة»، أي لكي «تتصوّر لغة، يعني أن تتصوّر شكل حياة .

فكرة موت المؤلف عند البنيوين

اسم رولان بارت من الأسماء الكبيرة التي اقترنت أشد الاقتران بمناهج النقد الأدبي الحديث، فلا تكاد تُذكر البنيوية في النقد الأدبي إلا ويسبقها اسم رولان بارت، وهو فيلسوف وناقد فرنسي الأصل ومشهور أنه ناقد أدبي دلالي ومنظر اجتماعي، له اهتمامات عدة في عالم الفكر، فقد حصل على شهادة الدراسات الكلاسيكية من جامعة السوربون، وتابع دراسات أخرى في مصر وبوخارست، وأصبح أستاذًا للسيميولوجيا في كوليج دي فرانس، وإن سعة اطلاعه على حقول فكرية مختلفة في مجالات النقد الأدبي جعل أعماله تساهم في تطور مناهج نقدية مثل البنيوية وعلم الدلالة، وغطت أعماله مناهج البنيوية وما بعد البنيوية، ولقد كان معاصرًا لفلاسفة ونقاد كبار مثل جاك دريدا، ومن أشهر المصطلحات النقدية التي كتب عنها رولان بارت هو مصطلح موت المؤلف، وهذا المصطلح اتسع في الأبحاث والدراسات حتى صار نظرية نقدية، وثمة نقاد أيدوا هذه النظرية، ومنهم من عارضها ورفضها، نظرية موت المؤلف مرّت نظرية موت المؤلف في العديد من المراحل؟ فقد ظهرت البنيوية كثورة هائلة ضخمة في عالم النقد الأدبي، وقد كانت واحدة من ثمار علم اللغة الدلالي الذي وضعه فرديناند دي سوسير، ومما زاد من الهالة الكبيرة حول البنيوية هو ما اتفق عليه البنيويون من النظر إلى النص على أنه كيان لغوي قائم بذاته، ولا علاقة له بالمؤلف، ولا بالظروف والأوضاع التي سببت تأليفه أو كتابته، وإنما تعاملوا مع النص من الداخل، مخالفين بذلك كثيرًا من المناهج النقدية التي تعدّ المؤلف أساسيًا في دراسة أي عمل أدبي مثل المنهج الاجتماعي والتاريخي والنفسي، وبذلك تعامل البنيويون مع النص بدراسة علاقة الكلمات ومحاولة فك الشفرات للوصول إلى البنية الداخلية للنص بعيدًا عن المؤلف. أيد رولان بارت فكرة موت المؤلف إلى حد كبير في مقالته التي كتبها عن هذه النظرية؛ إذ إنه كان يرى أن النص الأدبي أشبه ما يكون بنسيج قماشي اجتمعت فيه اقتباسات لا تعد ولا تحصى من مصادر ثقافية مختلفة ومتعددة، وأن النص الأدبي ليس تجربة أدبية واحدة بقدر ما هو اجتماع المعلومات والأفكار من عدة مصادر للثقافة، ومما أكد عليه رولان بارت في رأيه عن نظرية موت المؤلف هو أن القراءة الصحيحة للعمل الأدبي تعتمد بالدرجة الأولى على انطباعات القارئ لا على شغف الكاتب وميوله، وكان رولان بارت ينظر إلى المؤلف أنه سيناريو، وقراءة النص قراءة نقدية لا ترتبط به بأي شكل من الأشكال. ومما لا يمكن إنكاره أن طرح نظرية موت المؤلف كان له دور كبير في إلغاء الإنسان الكاتب، وإعطاء اللغة الدور الأكبر في تحديد مدلولات النص، والعلاقات التي تربط جمله بعضها ببعض، فقد صار النص في ظل البنيوية هو الأساس، ومن ثم يأتي دور القارئ في كشف

المعنى وتحديد الدلالة، ولقد ازداد الإصرار على فكرة موت المؤلف في منهج ما بعد البنيوية؛ إذ احتلت اللغة ودلالتها المكانة الواسعة، ولم يعد هناك متسع للذات البشرية وإسهاماتها في إنتاج النص الأدبي، ومما يجدر ذكره أن موت المؤلف في ما بعد البنيوية كان يعني بالمقابل ولادة القارئ الذي يعد مكونًا مهمًا من مكونات العمل الأدبي ودراسته، بخلاف البنيوية التي جعلت العمل الأدبي لا يحتاج أي عنصر خارجي يسهم في تكوينه ودراسته وكشف دلالاته ومكنوناته.

نقد نظرية موت المؤلف : هل وُجهت انتقادات لنظرية موت المؤلف؟ إن كل اتجاه نقدي أو منهج نقدي سواء في العصر الحاضر أو الماضي لا بد أن يكون له المدافعون عنه، والمعارضون له، ولقد لاقت نظرية موت المؤلف -لا سيما وفق طرح البنيوية- معارضة من بعض النقاد والمهتمين بدراسة النصوص الأدبية، فقد رفض عبد السلام المسدي فكرة البنيوية القائمة على إلغاء أي مؤثر خارجي في النص، ورأى أنها بهذه الفكرة قطعت جذور النص وأصوله، وجعلته ساكنًا غير متطور، وهذا يعني أن البنيوية لا تؤمن بفكرة تطور الأشكال الأدبية والفنية، وهذا خلاف ما يراه عبد السلام المسدي من علاقة تربط بين النص من جهة ومؤلف النص والظروف المحيطة به من جهة أخرى، إضافة إلى كون البنيوية نظرت إلى كل النصوص بشكل واحد وأنها كلها يمكن إرجاعها إلى البنية أو اللغة وذلك ليتمكن القارئ أن يبلغ أعلى ذروة من الموضوعية في قراءته للنص الأدبي. وإن المُطلع على كتاب ثقافة الأسئلة للناقد عبد الله الغذامي يلاحظ كثرة الحديث عن مقولة موت المؤلف، ويظن أن الغذامي قد كان مقتنعًا كل الاقتناع بهذه النظرية وموافقًا عليها وعلى مضمونها، إلا أنه بقليل من التدقيق يتبين أن الغذامي كان يحاول التقليل من تكثيف هذه النظرية، واستبعاد دراسة النص بعيدًا عن مؤلفه، ومبدع صفحاته، لفقد كان يبين أنه من غير الممكن قراءة عمل أدبي في كتاب عليه اسم المؤلف وتاريخ ميلاد المؤلف وتاريخ وفاة المؤلف دون النظر إلى دور المؤلف في إنتاج النص الأدبي. وقد عبر الغذامي عن رأيه بأن مصطلح موت المؤلف بنظره ليس إلا أن المؤلف قد مات فعلًا ودُوّن تاريخ وفاته على كتابه، أو أنه يتخفى عن أعين الناظرين خيفة الحسد والسحر، أو أن كاتبًا آخر قد سطا على أعمال المؤلف وأخذ مكانه، وبذلك يكون الغذامي -كما عُرف عنه- مدافعًا عن التأصيل ورافضًا التبعية للغرب بمصطلحات دون التعمق في معانيها وما تؤول إليه، ويبين أن استعمال هذه المصطلحات النقدية الغربية مع نصوص أدبية غربية أمر ممكن، في حين أن تطبيقها على النصوص العربية سيكون فيه الكثير من الشك والريبة وقد يصيب بعض الدارسين بحالة من الفصام ما بين فهم النص والابتعاد عن كاتبه والظروف المحيطة به .

2- المنهج التحويلي :

في أواخر القرن التاسع عشر ظهر لغويون عارضوا المنهج التاريخي المقارن ، ورفضوا أسلوب مقارنة اللغات الحية بلغة ميتة ، وكان العالم السويسري (دي سويسر) (ت 1913م) من أوائل اللغويين المعاصرين الذين عارضوا منهج البحث التاريخي المقارن ، وذهب الى أنه لا يصلح لدراسة اللغات الحية ، ثم قرر أن اللغة ينبغي أن تضيق دائرة درسها فتدرس في مرحلة خاصة وفي بيئة مكانية و زمانية محددة ، وأطلق على منهجه هذا (المنهج الوصفي) وهكذا رفض (سوسير) المنهج التاريخي ، وأقام على أنقاضه منهجا جديدا هو المنهج الوصفي لأنه - بحسب - رأيه - الطريق الوحيد لبحث اللغة على أساس علمي . ثم سار هذا المنهج ونال احترام اللغويين الذين جاءوا بعد (سوسير) في أوربا وأمريكا ، وعلى الرغم من أن أصحاب المنهج الوصفي سعوا الى استقلالية علم اللغة إلا أنهم لم يحجموا من الاستفادة من نتائج العلوم الأخرى كعلم الاجتماع ، وعلم النفس وعلم الطب ، وكان (سوسير) نفسه متأثراً بعلم الاجتماع ، وكان ظهور المنهج الوصفي في دراسة اللغة عامة و دراسة النحو خاصة بعد ثورة في علم اللغة ، لقد شاع هذا المنهج وكتب له السيادة لا في أوربا أمريكيا فحسب بل في الوطن العربي أيضا ، فقد تأثر عدد من النحاة به وعدّوه المنهج الصحيح في دراسة العربية ، وانتقدوا النحو التقليدي لاعتماده على المنطق والفلسفة وتجاوزه ظواهر التراكيب اللغوي الى ما وراءه من ألفاظ مفترضة لا ينطقها المتكلم فعلا ولا تبرز على سطح اللغة كما يقولون . ثم جاء عام 1957م فحدثت ثورة جديدة في ميدان دراسة اللغة ، وبرز اتجاه آخر يدعو الى تغيير اتجاه علم اللغة من المنهج الوصفي الى منهج جديد هو ما يعرف اليوم بـ (المنهج التحويلي) وكان صاحب هذا الاتجاه هو اللغوي الأمريكي المعروف (جومسكي) المولود في أمريكيا عام (1918م) . لقد رأى هذا العالم أن المنهج الوصفي يركز على السطح اللغوي فكأن الحدث اللغوي أمر آلياً لا يرتبط بما في نفس الإنسان من عوالم عقلية وشعورية تؤثر في الحدث اللغوي وتشكله بهذا الشكل أو ذاك . إن اللغة – كما يرى جو مسكي – أهم الجوانب الحيوية في نشاط الإنسان ، ولهذا ليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهمية ثم تتحول الى تراكيب شكلية مجردة يسعى الوصفيون الى تجريدها عن العقل ، ومعنى هذا أن هذا اللغوي كان يقيم نظريته على أساس عقلي ويحاول أن يفسر ظواهر اللغة تفسيرا عقليا يناسب أهميتها ويكشف عما وراءها من دوافع عقلية وعلى هذا الأساس قسم جومسكي الكلام الإنساني على جانبين :

الأول : ما ينطقه الإنسان فعلا وقد سماه (البنية السطحية للكلام)

الثاني: هو ما يجري في أعماق الإنسان ساعة التكلم فيدفعه الى تفضيل هذه الصيغة أو هذا التركيب ، وسماه (البنية العميقة للكلام) . وهي أساس الكلام في عقل الإنسان الذي قد يخرج على صيغة أخرى بسبب الحذف والاختصار والإيجاز ، أو الأساس الذي يظهر عند التكلم بمظاهر متعددة . ومعنى ذلك أن اللغة التي ننطقها فعلا إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة ، ودراسة بنية السطح تقدم التفسير الصوتي للغة ، أما دراسة بنية العمق فتقدم التفسير الدلالي لها . من أجل ذلك رفض جومسكي المنهج الوصفي لقصوره وعجزه عن الإيغال فيما وراء الأشكال اللغوية الظاهرة المنطوقة أو المكتوبة . وقد طبق المنهج التحويلي على دراسة النحو فظهر ما يسمى (النحو التحويلي وهو كما تقدم يهتم بالبنية العميقة للكلام ويحاول أن يربط بينهما وبين ما تحولت إليه من بنية سطحية . وتسميته بالنحو التحويلي نابعة من أنه يفترض لكل بنية لغوية ظاهرة ، بنية أخرى عميقة كامنة في ذهن المتكلم ثم يحاول الكشف عن كيفية تحول البنية العميقة الثانية الى البنية الأولى السطحية أو الظاهرة الملفوظة . ولابد لمن يتبع هذا المنهج في دراسة النحو من أن يعتمد على الحدس أو التصور أو الفروض العقلية ، فلا بد من الإشارة الى أن (جومسكي) الذي ينسب إليه هذا المنهج ويعد أول من وضع أسسه وأظهر أهميته قد درس العبرية القديمة وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في الأندلس وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية . ومن هنا يمكن أن نفترض تأثر (جومسكي) والمدرسة التحويلية بالدراسة اللغوية القديمة ،وأما على صعيد الدراسة الغربية و(جومسكي) أيضا لم يكن أول من فطن الى هذا المنهج ، وإن كان هو أول من أعطاه هذا المصطلح فقد أشار إليه لغويون غربيون بعبارات متفاوتة بين التلميح والتصريح ، لعل من أفضلها عبارة أحدهم حين قال : اللغة كجبل الجليد العائم ، وما هو مكشوف منه للملاحظة المباشرة أقل بكثير مما يختفي منه تحت الماء .

تطور المنهج التحويلي

عرفت الدراسات اللغوية واللسانية في النصف الأخير من القرن الحالي تطورا مذهلا حيث تفرعت العلوم وتشعبت لدرجة أن أضحى من العسير على الباحثين والطلبة على حد سواء الإلمام والإحاطة بما جد من قضايا في مختلف فروع اللغة ، ويأتي في مقدمة العوامل التي عجلت بالتطور الحاصل في الحقل اللغوي واللساني اهتمام العلماء المتزايد بهذا الجانب وتعدد المدارس اللغوية واللسانية التي أدت بدورها إلى تعدد المناهج وتباينها

في المنطلق الأسس ، المقومات والأهداف .

ولعل من أبرز هذه المناهج اللغوية واللسانية التي كان لها من الأثر الإيجابي ما أخرج الدراسات اللغوية من الإطار الوصفي التجريبي القياسي Inductive الذي تبناه بلومفيلد وأتباعه المنهج التوليدي التحويلي الذي يقوم حسب زعيمه تشومسكي على عدة مبادئ منها :

1 ـ مبدأ منطق الاستنباط) ((Deductive)، ومن هنا فقد اعتمد فيه على المنطق الرمزي Symbolic Logic واستخدمه في استنباط قواعد لسانية عامة وفي هذا الإطار يعتبر تشومسكي المادة اللسانية : وسيلة لا غاية في ذاتها ، فهي وسيلة إلى الوصول إلى التعرف على العقل البشري وكيف يعمل أنه ما دام العقل البشري هو مصدر التفكير ومصدر القواعد اللسانية المستظهرة التي يجيدها كل مولود في لسانه فلا بد من التعرف على طريقة اكتساب هذا العقل للمعلومات، بمعنى أن دراسة الألسنة هي وسيلة لدراسة الفكر الإنساني .

إن تشومسكي وإن كان لا ينكر تعامل الألسنية مع علم المنطق فإن هذا التعامل كما يرى : يتم فقط في استعمال قضاياه ، على الصعيد المنهجي ، وفقا لمتطلبات بناء النظرية الألسنية ، فالألسني يضع الأنموذج اللغوي الذي يشير إلى عمل اللغة الإنسانية فقط ، بهدف وصف السلوك الكلامي وتحليله .

2 ـ مبدأ الإلهام Intuition : حيث يرى :أن اللسان كغيره من المعلومات البشرية ومضات إلهام في الأزل يصل إليها العقل الإنساني في هذه الحياة عن طريق الإلهام ، نافيا أن يكون للبيئة أو المحيط دور في اكتساب الإنسان للغته لأن تحصيل هذا الأخير للسانه كتحصيل المعلومات الإنسانية المختلفة إلهامية ، لا يستظهرها بين ما يستظهر ممن حوله من الأسرة والعشيرة بل هو تحصيل سابق في الأزل ، وهذا

ما يضفي الصبغة العقلية علـى منهجه على غرار ما نجد عند أفلاطون و ديكارت وهمبولت الذين يعتقدون أن العقل في ذاته مصدر كل معرفـة .وهو أسمى من الحواس ومستقل عنها ، وأن هناك متصورات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة يقوم العقل مـــن خلالها بتفسير معطيات التجربة .

3 ـ مبدأ التوليد Generative :

يحاول تشومسكي من خلال مبدأ التوليد الوصول إلى القواعد البديهية Intuitive التي يستعمل بمقتضاها صاحب اللسان لسانه الذي ولد فيه ، وهو بهذا يرى أن كل صاحب اللسان الذي ولد فيه يجيد الحديث به واستظهار قواعده دون تلقين مــــن مدرسة أو معلم ، ويراد به عنده من جهة أخرى الجانب الإبداعي في اللغة أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم ، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيـق قواعد نحوية معينة ، بمعنى أن الإنسان يمتلك قدرة إبداعية تمكنه من خلال اتباع قواعد نحوية تكوين كـل الجمل الممكنة في اللغة ، وهذا ما سنوضحه لاحقا عن طريق التمثيل .

4 ـ مبدأ التحويل Transformation :

يقوم هذا المبدأ على تحويل جملة إلى أخرى متى تقاربت معانيها ، وإن اختلفت مبانيها ، فعبارة " كُتِـبَ الدرسُ " مثلا تعتبر تحويلا للعبارة المشابهة معنى المخالفة مبنى ، وهي " كتــبَ الولدُ الدرسَ "، وهناك قواعد متكاملـة وضعها تشومسكي وأتباعه لتحويل الجمل من معلوم إلـــى مجهول ومن تقرير إلى استفهام أو نفي، وما شابه ذلك خاصة في الإنجليزية ، وعليه فالتحويل كما يرى هذا الأخير هو الذي يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة ، وأتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبيةObligatory أو جوازية Optional منها الاستفهام والنفي والأمر والمجهول والعطف والدمج والاتباع والزمـان والملحقات والحدود الفاصلة Boundaries ... إلخ ، وبشكل عام فإن الطريقة المتبعة هي أنه بعد تطبيق القواعد المركبية Phrase structure grammar تطبق مباشرة القواعد التحويلية Transformational rules على السلسلـة النهائية Terminal string لتشكيل الجمل المرادة .

وقد توصل تشومسكي إلى هذا المنهج الذي يقوم على هذه المبادئ من خلال دراسته للغـة الإنجليزية التي لفت انتباهه فيها تعدد المعاني لتركيب لساني واحد ، ومن هنا ربط هذا الأخيـر بين النحو والمعنى اللذين أصبحا معا موضع الاهتمام

الأول لدراسته ، والملاحظ أنه وعن طريق عناصر التحويل التي حددها تشومسكي والمتمثلة في الزيادة ، الحذف ، الترتيب ، الإضمار ، الإحلال ... إلخ ، يمكن الوقوف على البنية السطحية والبنيـة العميقة ، وهو ما سنبينه لاحقا مع التمثيل .

5 ـ مبدأ الإسقاط :

اللغة في المنهج التوليدي والتحويلي أداة للتواصل ، ولا تواصل إلا بالجملة ، وللوقوف على دلالة الجملة يتعين اعتماد مبدأ الإسقاط لمركبات الجملة ، وتعرف قواعد الإسقاط بأنها التي تربط بين الكلمات وبين البنى التركيبية ، وتناسب هذه التسمية واقع التفسير الدلالي ، وذلـك لأن قواعد الدلالة تسقط المعنى على بنية معينة . يحتوي المكون الدلالي إذاً على المعجم أو اللائحة بمفـردات اللغة وعلى قواعد إسقاطية التي تشكل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات بمعنى أن قواعد الإسقاط تقوم بتعداد القراءات التي تستند إلى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها ، وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية، فهذه القواعد تقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية ،لأن الأنموذج التوليدي والتحويلي يستند على فرضية تنص على أن المتكلم يفسر الجملة على نحو تركيبي بحيث يرتبط معنى المؤلف المركب بمعاني عناصره ، فمعنى الجملة يتم عبر معاني المؤلفات النهائية في المشير الركني ، وذلك من خلال الجمع بين هذه المعاني بواسطة قواعد الإسقاط ووفقا للعلاقات القائمة في المشير الركني ، ويقوم هذا المبدأ على قواعد تفريع ومعجم يتم من خلالهما تحديد وحدات الجملة وجنس ودلالة كل منها ليتم في الأخير الوقوف على المعنى النهائي للجملة من خلال ما يسمى بالبنية العميقة ، وهذا ما سيتم توضيحه لاحقا بنمـــاذج وأمثلة .

6 ـ البنية العميقة :

البنية العميقة هي الشكل الباطني وغير الظاهر للجملة ، وهي عكس البنية السطحيـة ، فدلالة الجملة في المنهج التوليدي والتحويلي تتوقف على البنية الأولى كما اشرنا سابقا ، ففـي النظرية النموذجية يحتوي المكون الأساسي التابع إلى المكون التركيبي قواعد تفريع ومعجم ويتم إسقاط قواعد التفسير الدلالي على البنى التي يولدها المكون الأساسي ، فتكون البنية العميقة التي تحدد من خلالها دلالة الجمل وتتخذ التمثيل الدلالي المناسب ... ويقتضي هذا التعديل الإبقاء على تحديد الدلالة بصورة أساسية ضمن البنية العميقة حيث يتم وضع معاني المفردات والعلاقات النحوية الأساسية " الفاعل ، المفعول به .." للتمثيل الدلالي .

7 ـ الكفاية اللغوية :

من أبرز المبادئ التي يرتكز عليها المنهج التوليدي التحويلي مبدأ الكفاية اللغوية: Competence وهو شرط أساسي في العملية التواصلية ، ويتمثل على حد رأي تشومسكي Chomsky فـي المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري .

3- المنـهج التداولي

تعريف التداولية

تسعى التداولية لأن تتجاوز حدود الخطاب لتصير نظرية عامة للفعل والنشاط الإنساني، شغلها الشاغل إنما هو دراسة اللغة في المقام ، الذي يهتم بما يفعله المستعملون بالألفاظ .

وتذهب الدراسات إلى أن"شارل ساندرس بيرس"٠1914-1839هو أول من ابتكر كلمة "البراجماتية"، وذلك في مقالته الشهيرة"كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟" . و مما جاء فيها : لكي نبلغ الوضوح التام في أفكارنا من موضوع ما ، فإننا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما قد ترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملي ، قد يتضمنها الشيء أو الموضوع....

كما يعد "شارل موريس" أول من بادر إلى إرساء تعريف مقصود لمصطلح "التداولية" ؛ وخلاصة هذا التعريف هي أنها دراسة علاقة العلامات بمستعمليها ، أي دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية . وقد عدّها جزء من السيميائيات ، وذلك لمّا أقرّ بأن للسيميائيات ثلاثة فروع هي :

ـ التركيب النحوي : ويُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات .

ـ الدلالة وهي دراسة علاقات العلامات فيما بينها وبين الأشياء ، أي ارتباطها بالمعنى .

ـ التداولية : وهي دراسة ارتباط العلامات بمؤوليها أي بمستعمليها .

وينعت كل من "غرين"Green1989 و "بليكومور"Blikmore1990 التداولية بأنها فهم اللغة الطبيعية . وهي عند "الجمعية العالمية للتداولية" نظرية للتبني

اللساني . ويرى "فارسشيرن"Werschueeren1987 أن على التداولية أن تمعن الفكر أكثر في استعمالات اللغة من كل جوانبها . في حين هي عند "فرانسواز ريكانتي" فرع من دراسة استعمال اللغة في الخطاب .

وفي نظر مؤسس التداولية ـ تداولية أفعال الكلام كما يحلو للبعض تسميتها ـ الأول "جون أوستين"٠٠ أن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها . أو التعبير عما يجول في خواطرنا من أفكار ، وما يجيش في صدورنا من مشاعر وإظهارها . وإنما يجب أن تضطلع اللغة ـ وهو أمر موافق لطبيعتها ـ بتحويل ما يبدر من أقوال ، في إطار ظروف سياقية ، إلى أفعال ذات سمات اجتماعية .

والتداولية عند كل من "أ.م.ديلر" و"ف.ريكاناتي"هي دراسة تهتم باللغة في الخطاب ، وتنظر في الوسميات الخاصة به ، قصد تأكيد طابعه التخاطبي .

وما يمكن أن نخرج به من كل هذه التعريفات ، هو تكرار الألفاظ (اللغة ، المستعملين ، السياقات ، الخطاب ، التخاطب ، المخاطب ، أفعال الكلام ...) . وبتجميع هذه الألفاظ ، نستطيع تكوين فكرة شمولية عن معنى التداولية ووظيفتها .

فهي مبحث لساني يدرس الكيفية التي يصدر ويعي بها الناس فعلا تواصليا ، أو فعلا كلاميا غالبا ما يأتي في شكل محادثة . كما أنها تهتم بالبحث عن الأسباب التي تتضافر لتؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء إجراء المحادثة أو التخاطب .

فالتداولية ـ على ما يبدو ـ علم يهتم بعلاقة اللغة بمستعمليها ، هدفه إرساء مبادئ للحوار ، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام . ومن هذه التحديدات يعنّ لنا أن التداولية تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي ، أو الإنجازي لما نتكلم به ؛ ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم ، وفي صب أحاديثهم ، وفي خضم خطاباتهم . كما يعتني هذا التخصص بكيفية تأويل مستعملي اللغة لتلك الخطابات وتلك الأحاديث ، كما ويهتم أيضا بمنشئ الكلام (الخطيب ، المتكلم) ، وكذا السياق .

ويقدم الدكتور "مسعود صحراوي" تعريفا واضحا للتداولية في كتابه القيم "التداولية عند العلماء العرب" ، وذلك بعد أن يُلف الانتباه إلى أن ميدان النقد والدراسات اللسانية لم يصبح حكرا على التيارين البنيوي والتوليدي وحسب . بل إن الساحة النقدية صارت تعج بالنظريات والمفاهيم اللغوية المتباينة ، والتي تمخّض عنها ميلاد عدد من التيارات اللسانية . ثم يعوج على التيار التداولي بقوله : وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح ، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"

، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب " رسالة تواصلية "واضحة"و"ناجحة" . والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية....

وفي معرض حديث الدكتور عن الفرق الجلي بين المنهج البنيوي والمنهج التداولي، يوصّف التداولية بأنها: ...ليستعلماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي ، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة ، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره .

إن التداولية إذا تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم ، كما يعنى هذا التخصص من جانب آخر بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث . ومن هنا جاز لنا القول إن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات "الحوار" أو"الملكة التبليغية" compétence de communication ، والتي تقابل الملكة اللغوية الصرفة عند "تشومسكي" .

وبالاستناد إلى هذه التعريفات تغدو التداولية العلم الذي يدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات ، وكل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي . وبعبارة جامعة نقول إن التداولية هي أداة للتفسير والنقد معا ، تبدو قيمتها في اعتبارها وسيلة معرفية نلجأ إليها لتعيننا على فهم ومعرفة وتمييز هل أن ما نبحث فيه له قيمة ومعنى أم ليس له ذلك ؟ .كما أننا نتمكن بواسطتها من قياس درجة الصحة والخطأ في المواضيع التي ندرسها . ثم هل هي جديرة بان تأخذ منا الجهد والوقت في البحث عن خصائصها أم لا ...؟ .

التداولية في الدراسات الحديثة والمعاصرة :

إن التيار التداولي حقل لساني تبلور في السبعينيات من القرن الماضي ، وهو العلم اللغوي الأحدث بين بقية العلوم اللغوية الأخرى . فهو نظرية نقدية لمّا يكتمل بناؤها بعد ، استمد قوته من ميدان اهتمامه ، حيث اهتمّ بدراسة أفعال النطق التي ظلت ردحا من الزمن مغيبة عن الدراسة والتحليل ، بداعي وجود حواجز وهمية بين اللغة والكلام ، بين الدلالة والاستعمال . لذلك فإن أساس التداولية قائم على رفض ثنائية "دي سوسير" الشهيرة ، اللغة / الكلام langue/parole ، والتي مفادها أن اللغة وحدها دون الكلام جديرة بالدراسة العلمية ، وجديرة باهتمام اللسانيين . في حين تهدف التداولية إلى دراسة العلاقات الموجودة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها . فكان أن حملت على عاتقها مهمة تحليل عمليات الكلام ، ووصف وظائف الألفاظ اللغوية ، وبيان خصائصها عند التواصل اللغوي .

عن التداولية منهج للتحليل ينشد "الحقيقة الفعلية" في تناول الظواهر اللغوية ، أي يحلل الوقائع ضمن صلتها بسياقاتها الفعلية التي ولدت في حضنها . ومن هنا وبالنظر إلى اتساع دائرة اهتمامات التداولية ، صارت نظرية صعبة التقنين وعصية الضبط ، فلا يمكن النظر إليها على أنها مذهب نقدي مختص بأتم معنى الكلمة . فقد تأكد للمختصين في هذا المجال أن الإحاطة بتعريف التداولية صعب ، وأن ضبط مناهجها عناء ، وأن حصر أهدافها مشقة . إلا أن هذا الوصف ينبغي أن يجعلنا نتقبل هذا المذهب بشيء قليل من الدهشة والاستغراب ، خاصة إذا ما علمنا أن التداولية تخضع لهيمنة طائفة من التيارات العلمية المختلفة ، تمس أسسها المنهجية ، بل وقد يتعدى الأمر إلى التشكيك في هويتها كاختصاص لساني ، إن التداولية حقل لساني ملتبس ...(وتبدو) التباساته بحيث يصعب على المتتبع لتطور اللسانيات المعاصرة أن يعرف الحدود الفاصلة بين المجالات اللسانية المعروفة وبين التداولية . ويستعصى عليه بالتالي تحديد موضوع هذه الأخيرة ، وإبراز نماذجها النظرية وأجهزتها الإجرائية .

ولهذا تعد التداولية دراسة علمية في حقل اللسانيات لا يزال السؤال يطرح حول ما إذا تم تحديد ماهيتها كحقل لساني ،وقد انبثق عن هذا إشكاليات معقدة ، من مثل : ما هي حدود وفرضيات وأدوات التداولية ؟ ويأتي الجواب من "أرمونجو فرانسواز" بأن÷ الإجماع لم يتحقق بعد بين الباحثين فيما يخصّ تحديد فرضياتها ، ولا حتى فيما يخصّ مصطلحاتها . يلاحظ بجلاء ، على العكس من ذلك ، إلى أي حد تشكل ملتقى غنيا لتداخل الاختصاصات بين اللسانيين ، المناطقة ، السيميوطقيين ، الفلاسفة ، علماء النفس ، علماء الاجتماع.

وعلى الرغم مما يسجل من التداخلات والالتباسات الناجمة عن علاقة التداولية بشتى العلوم ، فقد أمكن تعيين مجموعة من القضايا اللغوية التي هي محل اهتمام التداولية ، وتدخل في نطاق تخصصها . كما تم أيضا معرفة جملة من المسائل التي تشكل موضوعا لها . ومن ذلك محاولة التداولية إيجاد الإجابة للأسئلة التي كانت محل قلق وإزعاج للمباحث اللسانية السابقة . ومن هنا تبدو قيمة البحث التداولي في كونه يسعى إلى الإجابة عن بعض الطروحات اللسانية السابقة ، من قبيل :

ـ من يتكلم ؟ .

ـ من هو المتلقي ؟ .

ـ ما هي مقصديتنا أثناء الكلام ؟ .

ـ كيف نتكلم بشيء ، ونسعى لقول شيء آخر ؟ .

ـ ماذا علينا أن نفعل حتى نتجنب الإبهام والغموض في عملية التواصل ؟ .

ـ هل المعنى الضمني كاف لتحديد المقصود .

إن هذه الأسئلة ، وغيرها مما هو على شاكلتها ، لهي محل إثارة فعلية لقضايا لغوية متعددة المرامي . تتم الإجابة عنها في التداولية بصيغة تتماشى والطابع المتجدد والجدالي لهذا المبحث اللساني الذي يبدئ الفكر ويعيد في المباحث والمواقف التي ميّزت الأبحاث اللسانية السابقة ، فيبعث بعضها من جديد ، ويطور بعضها الآخر .

وتقر الدراسات أن دراسة المعنى وعلاقته بموقف الكلام ، توجه جديد يحتل قمة اهتمامات التداولية . وللكلام جوانب كثيرة طالها مجال الدرس التداولي نجملها في : المخاطَبين والمخاطِبين ، وسياق التفوه ، والفعل الإنجازي ، والتفوه بوصفه نتاجا . وقد نجم عن هذا الاهتمام العام أن تفرعت عنه موضوعات كثيرة هامة ، تجتهد التداولية في معالجتها والبحث فيها ، منها : المفردات التأشيرية ، والتضمينات المحادثية ، الاقتضاء ، والمعاني الحرفية ، والمعاني السياقية ، وأفعال الكلام وتصنيفاتها ، وتحليل الخطاب ، وتحليل المحادثة ... .

وبالنظر إلى مباحثها ، تغدو التداولية بحق نظرية استعمالية ، حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها ، ونظرية تخاطبية تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء الاستعمال للغة .

وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً ، فقد نقلت التداولية النص من الدراسات التي كانت منصبة على المستوى النحوي والدلالي والمعجمي ، إلى المستوى التداولي ، حيث نلفي أن جهود المنشغلين في حقل النصوص الأدبية تركّز على مفهوم "التواصل" القائم على أساس الفهم والتأويل . هذا التواصل الذي كان محل اهتمام القراءة باعتبارها تواصلاً يتحقق بين القارئ وموضوع القراءة ، فالوصفية النقدية في إطار عملية القراءة ، وظيفة تقوم على أساس السعي إلى تحقيق تواصل فعّال بين القارئ وموضوع القراءة . وكأي تواصل تحتاج عملية القراءة إلى أسباب لعناصر الموضوع المقروء ، وإحاطة بالعوامل الفاعلة فيه ، مثل السياق ، ومقاصد الكلام ×([9]) .

هذا التوجه الجديد حدا بالدراسات الحديثة إلى إحداث تحول في مضامينها أيضا ، فانتقلت بموجب ذلك من الاهتمام بمستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى إيلاء الاهتمام بالاتصال الاجتماعي ، أي التحول إلى العناية بالمستوى التواصلي ، وما يتعلق به من سياقات أو تحديدا سياقية . في حين كانت هذه الدراسات تهتم باللغة في

مستوى النص كنظام ؛ ويعتبر بهذا بديلاً نقديا للنظريات الأدبية السابقة ، كلسانيات الجملة ، واللسانيات النسقية ، والأسلوبية ، والبنيوية ... .

إن هذا العلم الفتي ما فتئ يتطور منذ ظهوره إلى الآن ، حتى أضحى رافداً هاماً من روافد الدراسات اللسانية المعاصرة ، التي اهتمت بالتحليل التداولي الذي يتميز بالتداخل في الاختصاصات . وعليه فقد جاءت التداولية لتناقض مفهوم الشكل الواحد للمعنى ، وتدعو إلى تقويض مبدأ الاعتداد بالملفوظ اللساني كدليل وحيد ، أو كعامل فريد لبناء جمالية النص ، وتحليل بنيته وفقْهه من قبل المتلقي . وإنما يمكن لهذا القارئ أن يعيد إنتاج النص بواسطة فعل الفهم والإدراك ، بحيث صارت نظرية التلقي وجهاً من وجوه نظرية الأدب .

فجمالية التلقي لم تكتف بالاعتماد على الذاتية ومعطياتها ، ولا على قراءة الحدس ، وإنما عمدت إلى إشراك فعل الفهم ، والمقدرة العقلية الواعية ، واستثمار مرجعيات كثيرة ومتنوعة ، والتي من شأنها أن تساهم في إذكاء عملية التفاعل مع بنية النصوص وعبر علاقة حوارية معه ، غرضها إمعان النظر أكثر في ما يعتري القارئ من ردود فعل وقت التلقي، واستقراء كيفية وقوفه بنفسه على حلقات المعرفة وطبقاتها.

وبهذا فإن جمالية القراءة تهدف إلى دراسة التلقي بواسطة استثمار مقولات الفلسفات الذاتية والحقول الإجرائية الجديدة في تأسيس علم النص .هذا النص الذي من مميزاته أنه يقاوم فكرة اختزان معنى ما ، بقطع النظر أنه سطحي أو عميق ، إنما هو نص قائم منذ البداية على تعددية المعنى ، تشكيلا وتلقياً ، وأن تحليله هو نشاط نقدي يستند إلى مفاهيم نظرية متنوعة . أما قواعده فهي إجرائية تنزع إلى تنوع الركائز المنهجية التي يتبناها المحلل ، وهو يؤمن بهذه التعددية ، ويعترف بهذا الانفتاح ليتحاشى بذلك الزعم بالقول الفصل ، أضف إلى هذا كله ، الانفتاح على مداخل أخرى تداولية ، من نفسية واجتماعية وسياقية ...إلخ .

إن المنظرين الأعلام الذين نظّروا لهذا العلم الجديد وأولهم الفيلسوفان "ج.أوستين"وتلميذه "سيرل"٠ ، ثم عالم الاجتماع "غوفمان" ، فالمتخصص في دراسة الأعراق "غمبرز" ، فمدرسة "بالوالتو" ذات التوجه النفسي ، و"فيتغنشتاين"... كل هؤلاء كانوا من السباقين الذين ساهموا في إرساء قواعد التداولية ، يركزون على أن موضوع التداولية هو دراسة الظواهر اللغوية أثناء الاستعمال . ويلحون على أنه موكل إليها دراسة القصد الإخباري ، أو معنى الجملة ، ودراسة القصد التواصلي و معنى المتكلم .وأما المقدرة على الإدراك وإنتاج فعل تواصلي ما فتدعى"القدرة التداولية" كما يسميها "كاسبر" Kasper1997 .

وما يمكن أن نستنتجه من كل ما تقدم ، هو أن التداولية قد أولت أهمية بالغة إلى الجانب الاتصالي ، أي دراسة اللغة في علاقتها بمستخدميها . في حين ظلت الدراسات اللسانية الفارطة تستبعده ، واعتنت فقط بالتراكيب والمعاني . وفي هذا الصدد نعثر في "دليل الناقد" على ما يؤكد هذا الكلام : وفي الطرح اللساني ، ركزت الذرائعية على ما أهملته اللسانيات . فإذا ركزت اللسانيات على علم التركيب وعلم المعاني ، فإن الذرائعية ركزت على الجانب الاتصالي ، أي علاقة الإشارة بمستخدميها . هذا الجانب ظل مستبعداً دائما من قبل اللسانيين الذين ركزوا أبدا على جوانب القواعد الشكلية وميّزوها عن الاستخدام اليومي العادي (...) . حتى "نعوم تشومسكي" اتبع هذا النهج ، إذ سعى إلى استخلاص موضوع ألسني وعزله عن الاستخدام العام اليومي ، ليكون قابلاً للدرس العملي ، لكن ردود الفعل توالت حديثاً ضد هذا الاستبعاد ، إذ يرى صحاب الذرائعية (أو التبادلية) أن اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النحو والمعاني ، بل إن الاتصال يلعب دورا فاعلاً إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة .

ومن آثار هذه التحول الجديد ، أن برز توجه جديد ، ممثلا في دراسات نقدية مغايرة ، تساير هذه التحول الداعي إلى الاهتمام بدراسة الأدب في علاقته الاتصالية وظروفه السياقية ؛ معلنة في نفس الوقت عن عقم الدراسات اللسانية التي أخرجت هذه العلاقة من دراستها .

ومن هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر ، ما قام به "ستيفن ليفنسون" في مؤلفه الموسوم بـ : "pragmatique" ، والذي يعترف فيه بكل وضوح بأن نظرية علم المعاني لا تُعيننا كثيراً على فهم اللغة .

وتماشياً مع هذا التطور الطارئ على الدراسات الأدبية الحديثة فقد ركزت الذرائعية على سمة الأدب الاتصالية انطلاقا من أن الاتصال عموماً لا يكتمل دون أخذ الأدب وسياقه في الاعتبار . كما أن دراسات الأدب لا تكتمل دون الأخذ في الاعتبار توظيف لأدب لمصادر الاتصال المختلفة . إن أبعاد هذا الطرح لا شك مثرية ، فالأدب لم يعد نصاً مغلقا أو بنية شكلية معزولة عن سياقها ، بل إن هذا الاتجاه أعاد إلى الدرس الأدبي الصلة القديمة بين الخطابة والشعرية . ولهذا فإن الدراسة الذرائعية / التبادلية للأدب تسعى إلى اكتشاف التقنيات العلمية في النص (الإيحاء ، والافتراض المسبق ، والإقناع) ، وربطها بالقوى الخارجية في عالم الكاتب والقارئ ، مثل علاقات القوى والتقاليد الثقافية وأنظمة النشر والتوزيع والرقابة ، وهلم جرا . ويبقى التركيز في كل هذا على صلات الاتصال والتفاعل الخاصة والدقيقة الفعلية .

وهذا الاستشهاد يسمح لنا بالقول ، إنه إذا كان علم التركيب يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات في طار الجملة ، وإذا كان علم الدلالة ديدنه البحث في العلاقة بين العلامات والأشياء . فإن التداولية تدخلت لجبر النقص الملاحظ في كلا العلمين ، بإهمالهما الجانب التواصلي ؛ فأخذت على عاتقها دراسة علاقة العلامات بمستعمليها ، واضعة لمنهجها مفاهيمه الخاصة به ، تلك المفاهيم لم تكن ذات شأن من قَبلُ في فلسفة اللغة ، وفي اللسانيات البنيوية ،ولم تتوصل إلى معالجتها بكيفية حاسمة . ذلك أن اللغة البشرية إنما هي خزان مقاصد ، وينبوع معاني ، ينهل منه الناس لتحقيق أغراضهم ، وقضاء مأربهم ، والإفصاح عن أفكارهم . و لا يتم كل ذلك كله إلا بواسطة آلة التعبير عن المعاني في السياق المناسب ، وإن لم يكن هذا ، فما جدوى اللغة التي نتكلم بها إذا لم تكن حاملة للمعاني ، ومفسّرة لأحوال الناس ، ومفصحة عن مكنوناتهم ، ومحققة لأغراضهم ؟ .

التداولية : الظهور والمنشأ والتطور :

1 ـ الدراسات اللغوية : من البنيوية إلى التداولية :

مما هو معلوم أن البحوث اللسانية قد انصب اهتمامها على الدراسات اللغوية من جميع جوانبها ، وما تثيره هذا الدراسات من قضايا جوهرية على شاكلة : أصل اللغة ونشأتها وتطورها ... ولكن الذي غلب على هذه النظريات ، وهي تتناول اللغة بالدراسة والبحث، هو أنها تناولتها في جانبها الصوري الوصفي. كما أن كل دارس قد درس اللغة من وجهة نظر الأدوات المنهجية التي يوظفها في تحليله ذاك . وهذا يفسر طول عمر "المرحلة الوصفية" في القرن المنصرم ، هذا عامل . والعامل الثاني يتمثل في بطء تحول نظرة اللسانيات الشديد من التأمل الوصفي للظواهر اللسانية ، إلى الرؤية التفسيرية لهذه الظواهر .

ولذلك فلا نعجب إذا ما عثرنا على "الأدوات الوصفية" التي ما يزال بعضهم يستعين بها في الدراسات اللسانية . ولاسيما في وطننا العربي ، الذي عجز عن مسايرة تقدم العلوم اللسانية عند غيرنا من أمم أوربا ، وسيان في ذلك الشق النظري والشق المنهجي .

حينما ظهرت المدرسة البنيوية كان من مبادئها أنها دعت إلى تحليل العمل الإبداعي على أساس أنه آلة لتصنيع الأشكال اللغوية القابلة للتفكيك ، ثم إعادة التركيب والبناء ، ÷فالنص الإبداعي في نظرهم عبارة عن رقعة شطرنج قوامها المداخل المعجمية المرموقة وفق قوانين البنيوية ، أي علائقية ، باعتبار أن مفهوم البنية يقوم أساساً على العلاقات قبل أن يقوم على الكيانات المعزولة. وفي زمن لاحق لهذه الدراسة،

برز إلى الوجود مصطلح جديد يدعى "التفكيكية"، وهي بمثابة التحليل العلمي للإبداع في جميع مظاهره.

ولقد واكب حركة التفكيك هذه نشوء ما يسمى "البنيوية التكوينية" ، والتي ألحت على إقحام المكون الاجتماعي في التحليل البنيوي . وكان من نتائج هذه الدعوة أن ظهر ما يعرف بـ : "سوسيولوجيا الأدب" بزعامة "لوسيان قولدمان" ، و"أمبرتو إيكو" وذلك من خلال كتابه "البنية الخفية" والتي يقصد بها "البنية المجتمعية" . وهو أمر لم تكن تعترف به تعاليم البنيوية فيما سبق ، لاعتقاد أصحابها أن هذه البنية تنأى بالناقد عن الآلية الإبداعية . ناهيك من أنه مكون يشوش على الناقد ، ويحُول بينه وبين الوصول إلى المكونات الأساسية للنص ، أي لبنية النص المدروس .

ومع ذلك واصلت البنيوية مدها الذي بلغ منتهاه في تحليل النص ، خاصة مع ظهور التوجه البنيوي الذي على في الدعوة إلى التحليل الوصفي ، وتشدد في تطبيق إجراءات المنهج الشكلي . ومن رواده : غريماس ، جيرار جينيت ، كورتيس، دريدا ... وآخرون .

وبعد هذا كله حل عصر الاتجاه التداولي ، والذي نتوسم فيه أنه من الممكن أن يقدم للنقاد والعاملين في حقل الأدب ، والمتعاملين مع النصوص الأدبية ، أدوات إجرائية ومنهجية تعينهم على أن ينْفذوا إلى أعماق البنية الإبداعية عند المبدع ، كما تُعين المؤلف على أن يبلور نظرة نقدية للنص الذي أبدعه .ومن هنا تكمن فائدة هذا المنهج في أنه يقدم أدوات جديدة للعمل النقدي الذي يتعامل فيه مع جميع النصوص الإبداعية ، والتركيز على النص "المتحرك" ، أي معاينته أثناء أدائه وظيفته التواصلية .

أن التداولية كمبحث لساني حديث الظهور ـ ذلك أن الاهتمام بالبعد لتداولي للغة ليس منا ببعيد ـ حيث يؤول زمن بروز البحوث المنجزة في إطار السياق الثقافي الغربي ـ باعتباره المرجع الأساس لهذا النوع من الدراسات ـ إلى فترة الثمانينيات . غير أن هذا لا يمنعنا من القول بأن قبسات هذا المبحث قديمة جدا ، فقد عثر على كلمة "Pragmaticus" (التداولية) عند الإغريق واللاتين، والتي تدل على كلمة "عملي" . بينما الاستعمال الحديث للتداولية Pragmatiqueيعود إلى تأثير الفلسفة الأمريكية "البراغماتية" . وذلك بعد أن توسع مفهوم البراغماتية ليشمل معاني المحادثات . فمنذ أن نبّه الفيلسوف "شارل موريس" في كتابه "أسس نظرية العلامات" 1983 إلى أن التداولية يجب أن تهتم بدراسة علاقات العلامة بالمؤولين ، مذ ذاك انصب اهتمام التداولية على البعد العملي للمعنى ، أي معنى المحادثة . هذا التنبيه نجم عنه لفت نظار النقاد والباحثين إلى أهمية تفسير المحادثات الواقعة فعلا . واستنادا إلى

ذلك ، فقد تم توصيف التداولية بأنها فهم اللغة الطبيعية . وبهذا تم استقلال التداولية عن الفلسفة البراغماتية التي كانت الموجه لمبحث التداولية ، وغدت رافدا فرعيا لنهر اللسانيات الكبير .

لقد شهدت الدراسات التداولية تطورا سريعا في الغرب الأنجلوساكسوني ، ويعزى هذا التقدم إلى جهود الباحثين الذين كان لهم الباع الطويل في هذا التطور . وذلك ما حصل في بلدان الأراضي المنخفضة والدانمرك والنرويج وبلجيكا . وكان من ثمرات هذا التطور أن تمخض عن ميلاد "الجمعية التداولية العالمية" IPRAالعام 1987 . وفي معترك هذا التطور ، ظلت التداولية ذات وجهة فلسفية توجهها الممارسات الفلسفية . ولكنها ما انفكت تشهد تحولها التدريجي منذ سنوات نحو تشكلها كحقل لساني بالإبقاء على كينونتها العلمية في معالجة المعنى اليومي . وما تجدر إليه ها هنا هو أنه بالرغم مما يذهب إليه الكثير من الباحثين من أن التداولية Pragmatique، والمذهب الذرائعي الفلسفي Pragmatismeمختلفان· إلا أن بعض الباحثين يرى أن المذهب الذرائعي هو أحد مصادر التداولية ، وأصل التسمية يعود إلى منظري السيمياء مثل :"ش.س.بورس"··،"شارل موريس"، "جون ديوي"....

ونتيجة لذلك يسجل المتتبعون لمسار الدراسات التداولية بأنها سارت في اتجاهين اثنين هما : الدراسات اللسانية والدراسات الفلسفية . فالدراسات اللسانية استعملت التداولية بوصفها جزء من السيميائية اللسانية ، وليس بعلاقتها بأنظمة العلامات عموماً . ويلاحظ بأن هذا الاتجاه اللساني ما زال ساريا لحد الآن في اللسانيات الأوربية .بينما الدراسات الفلسفية ، وبالأخص في إطار الفلسفة التحليلية ، فقد خضع مصطلح التداولية إلى عملية تضييق في مجاله . فها هو الفيلسوف "كارناب" يساوي بين التداولية والسيمياء الوصفية ، بيد أن هذه البحوث التي استندت إلى هذا الفيلسوف قد اعتراها التوسع لتشمل دراسات من خارج اللسانيات ، نذكر منها : دراسات فرويد ، ويونغ عن "زلات اللسان" و"تداعي الكلمات" . ذلك أن التطور الحاصل في نظرة "كارناب" بيّن مدى أهمية وضع قيمة زمان ومكان الحدث الكلامي في الحسبان ، علاوة على دراسة اللغة المستعملة . ولهذا كان من المناسب جداً أن يتغلغل إلى تعريف "كارناب" لتداولية مفهوم "السياق" . هذا السياق الذي ينطوي على هويات المشاركين في الحدث الكلامي ، ومقاصدهم منه ، والمحددات الزمانية والمكانية ، والمعتقدات . وكذلك من جهته فقد ساهم تعريف "موريس" للتداولية في النهوض بمجموعة من الدراسات شملت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام ، أو داخل اللغة بشكل

خاص . ودراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى الفاعلين ، وكذا دراسة المفردات التأشيرية·.

واستنادا إلى ما قيل عن هذا المنهج الجديد ، تشير الدراسات إلى أن ظهور التداولية كمنهج ونظرية ، يعود الفضل فيه إلى الفيلسوف الإنجليزي "ج.أوستن" ، بصدور مؤلفه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، واصفا التداولية بأنها: جزء من دراسة أعم : هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هي جزء من التعامل الاجتماعي. فإذا ما نحن تقفينا الأثر ، ودققنا النظر في التعريف الأوستيني ، نستشف أن هذا الفيلسوف يروم نقل دراسة اللغة من النظر إليها من جانبها اللغوي والنحوي والنفسي لها ، إلى المستوى الاجتماعي ، ودائرة التأثير والتأثر من خلال استعمال اللغة لتحقيق التواصل . الأمر الذي أدى إلى نشوء جملة من التيارات في إطار دراسة التعامل اللغوي أهمها التيار الأوستيني أو البراغماتية عند استعمال اللغة ويُعدّ "غرايس"Grice أحد أبرع أعلام هذا التيار .

2 ـ الأصول الفلسفية للتداولية :

لقد سبق لي وأن قلت بأن "وستين" (1911 - 1961) وتلميذه "سيرل" (1932) ، هما اللذان أحرزا قصب السبق في وضع أساس بناء التداولية في الحقل الفلسفي ، وخاصة في فلسفة اللغة المستعملة (العادية) . فهما اللذان ابتكرا متصور "العمل اللغوي" انطلاقاً من نظرة المنطق التحليلي ، الذي يوافق طبيعة اختصاصهما . ففي فترة الستينيات أولى الفلاسفة كبير عناية في دراساتهم الأدبية إلى التأثيرات الجمالية للخطاب ، في حين نجد "أوستين" ـ آنذاك ـ كان أول من بعث نظرية "الأعمال اللغوية" .

وما ينبغي ذكره في هذا المجال ، هو أن اهتمام الفلسفة باللغة واقع منذ أمد بعيد ، الأمر الذي جعل كثيرا من النقاد يعتبرون البلاغيين القدماء أقرب من غرهم إلى المنهج التداولي ، لأن اهتمامهم انصب في حقل البلاغة على البحث في العلائق القائمة بين اللغة والمنطق ، وبالتحديد دراسة اللغة الحجاجية وتأثيرات الخطاب في السامعين .

وهذا بالفعل ما تتسم به البلاغة منذ القديم بدء بـ"أفلاطون"و"أرسطو" ، وصولاً إلى "سِناك" و"شيشرون" و"كونتليان" . إذ كان هدف البلاغة قائما على معرفة "الانفعالات"و"الأهواء" . من ذلك ما نجده عند "أرسطو" ، مثلا ، حينما حاول التفريق بين نمطين من الخطاب ، فدعا أحدهما "الخطاب الجدلي" الذي يتوجه إلى

شخص واحد مجرد ، ويختزل في وضعية السنن اللساني . وسمى الثاني "القول الخطبي" والذي يتوجه إلى مخاطب واقعي يتمتع بموهبة الجدل والمنافحة ، ويمتلك أهواء وعادات ثقافية . ثم عمد إلى الأقوال الخطابية هذه فقسمها إلى ثلاثة أجناس بحسب معيار العلاقة بين القول والمستمع بغض النظر عن مضمونه، وهي :

1 ـ جنس مشاجري : وهو الجنس الذي يعرّف بكونه يتضمن أحكاماً على الأعمال المنقضية .

2 ـ جنس منافري : يدين أو يرفع شأن الأعمال التي تكون بصدد الوقوع .

3 ـ جنس مشاوري : يقترح حلولاً يبقى تحققها رهين الإمكان إذ جهتها استقبالية أساساً .

والذي دفعني لأن أذكر كل هذه الأعمال اللغوية المميزة ، لأنها هي التي كانت محل اشتغال كل من "أوستين"و"سيرل" .

فالخطابة عند "أرسطو" أداة مقالية للتأثير تتجلى في الخطاب ، في حين هي عند "أفلاطون" وسيلة واقية ذات هدف أخلاقي . والخطيب الحاذق في نظر "أرسطو" هو ذاك الذي يتمثل الحضور النقدي للسامع ، حتى وإن توارى ذلك الحضور وراء حوار باطني ، وقد تسرّب هذا الفهم للحوار إلى التداولية الحديثة .

ولقد ظل المنهج النقدي الأرسطي في الخطابة أو المنطق مسيطراً حينا من الدهر على الفكر الغربي إلى غاية التاسع عشر ، بل وتواصل تأثيره في الدراسات اللسانية إلى يومنا هذا . بدليل أننا قد نعثر على إحالات كثيرة على "أرسطو" في مقاربة اللغة والكلام والنصوص التي صدرت عن المدرسة الفرنسية خاصة ، إذ نجد أن في الكثير من دراساتها تعتمد على المنهج الاستنتاجي ، وهو نهج منطقي هيمن بواسطة طرائقه الشكلية والمعيارية .

وبهذا فقد غدت الخطابة عند "أرسطو" الدعامة الأساسية للنظرية النقدية في الأدب والنقد المسماة "الشكلانية" . والتي تعتبر الفن نتاج التطبيق الصارم للطرائق الشكلية ، وهو ينزع إلى نوع من الشعرية التي أسسها "جاكبسون" . وقد عادت التداولية بعد فوات مرحلة مؤسسيْها "أوستين"و"سيرل" إلى التحليل الحجاجي خاصة مع لسانيين فرنسيين على شاكلة : "أزفالد ديكرو" ، و"كربرات أوركيوني" .

إن الحديث عن "النظرية التواصلية" يفرض علينا أن نذكر مؤسسها البارز"فان ديجك" ، الذي وضع تخطيطا من ناحية البرنامج للذرائعية الأدبية بوصفها مكملا لا فكاك عنه نظرية النص ×([18]) . ومنذ العام 1975 يعتري تحول على توجه

"ديجك" ، إذ تحول عن علم الدلالة إلى نظرية أدبية عامة تشتمل على نظرية للنصوص الأدبية ونظرية للتواصل الأدبي . ومنذ ذلك الوقت تغيرت الرؤية إلى أدبية النص ، فبعدما كان الاعتراف بما هو أدبي يتحقق بواسطة الخصائص البنيوية وجملة الملامح اللفظية ، أصبحت الأدبية تتحدد من خلال الاعتراف بإنتاج معين وخاص ، واستقبال خاص أيضاً . وعليه فقد تدرجت التداولية في مدارج التطور إلى أن ÷ أصبحت في مراحل متأخرة جدا نظرية للسياقات ، تبحث في سياق الإنتاج والاستقبال ، ثم إلى نظرية في الأفعال الكلامية ، وقد تكون هناك مراحل أخرى ستعرفها التداولية مستقبلا .

آليات المنهج التداولي

ويعتبر المنهج التداولي الحديث – على تمنعه على الضبط والتجديد على مستوى آلياته التحليلية – وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات بشكل "عبر تخصصي"، يمنحه ثراء على مستوى الإجراء والنتيجة، ولاسيما على مستوى النصوص التراثية لما فيها من مستويات سياقية مقامية، وتشخيصية، وتوفرها على مساحة شاسعة من الطبقات الكلامية "مستويات الأفعال الكلامية" على اعتبار أن هذه الأخيرة مبحث مهم من المباحث التداولية.

وسيكون هدف هذه المداخلة إن شاء الله، بسط أهم آليات مقاربة النص التراثي في ضوء المنهج التداولي الحديث.

1- التداولية بين النظرية والمنهج:

تناولت التداولية كدرس جديد بحوث كثيرة، وبتعددها تعددت تعاريفها، ومن بينها؛ أنها: «مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية ، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية». ورصد لها تعريف آخر، وهو أنها: تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به ، قصد تأكيد طابعه التخاطبي. وهي كذلك: «الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل.

هذه التعددية في المفاهيم توقع التداولية في مفترق طرق الأبحاث اللسانية والفلسفية والتواصلية عامة، ما يجعلها درسا غزيرا لا يمتلك حدودا واضحة--، وهذا التوسع واللامحدودية، جعلها تتداخل واختصاصات أخرى ، أغنتها إجرائيا بتداخلها مع معارف واختصاصات أخرى، وهذا الغنى ساهم في حل إشكاليات مطروحة، وإن تسبب في إعاقة ضبط مفاهيمها . فالتداولية لا تنتمي إلى أي من

مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا، لذلك فالأخطاء التداولية لا علاقة لها بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية، وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات؛ لأن كلا منها يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة ،وله أنماطه التجريدية، ووحداته التحليلية، ولا كذلك التداولية، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا، وليس لها أنماط تجريدية ولا وحدات تحليل.

وهي كذلك لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة على تداخلها معها في بعض جوانب الدرس كـ: علم الدلالة: الذي يشاركها دراسة المعنى، وعلم اللغة الاجتماعي: الذي تتشارك معه في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث وموضوعه ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها، وعلم اللغة النفسي: الذي يشارك التداولية الاهتمام بقدرات المشاركين التي تؤثر في أدائهم، مثل: الانتباه والذاكرة والشخصية، وتحليل الخطاب: ويشتركان في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفية واللغوية، كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشارية، والمبادئ الحوارية. هذا الاتساع والتداخل حدا بكثير من الدارسين إلى القول بافتقارها إلى موضوعات مترابطة ووحدات تحليل خاصة بها.

لكن هذا لم يمنع دارسين آخرين من محاولة تحديد مجالات تطبيقها، ولنقل مجالات مقارباتها. فالدكتور " صلاح فضل "، في كتابه: ‹بلاغة الخطاب وعلم النص›، في مبحث: "التحليل التداولي للخطاب"، أشار إلى أن المهم في التحليل التداولي هو الخطاب وفاعله؛ حيث يعنى التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مخاطب أو مرسل إليه. ويكون الاهتمام بالفاعل الذي نعرفه فحسب من خلال خطابه؛ أي بالكيفية التي يقدم بها نفسه من جانب، وباعتباره مسئولا عن مجموعة من العمليات الإجرائية على مدار النص من جانب آخر.

فعلى التحليل النصي للقول أن يشمل كل ما يشير إليه النص من موقف الفاعل الداخلي اتجاه قوله، وبهذا فإن النص يقدم دائما باعتباره (موسوما marqué) أو(غير موسوم) بطريقة شخصية؛ أي أنه يتصل بفاعل يتجلى فيه معبرا عن رأيه أو وجهة نظره، مشيرا إلى تجربة أو حدث متعلق به ذاته، وعندئذ يصبح موسوما، أو متصلا بوقائع ومعارف موضوعية بعيدة عن القائل، وعندئذ

يكون غير موسوم. هذان الوضعان الأساسيان للخطاب بكل ما يدخلهما من تعديلات وتداخلات يتجليان نصيا من خلال العوامل التالية:

- مؤشرات الشخص والمكان والزمان.

- كيفيات القول التي تحدده ، مثل موقف التأكد واليقين أو الشك والاحتمال.

- مؤشرات الموقف التي لا تتصل بفعل القول ذاته، وإنما بموقف القائل مما يقوله، ويدخل في ذلك تلك العناصر اللغوية الذاتية أو الخارجية التي تحدد أحد الموقفين.

ونلاحظ هنا أن ما قدمه " صلاح فضل"، لا يبعد كثيرا عما أشار إليه رواد التنظير للتداولية، ومن بينهم "أرمينكو"، التي تشير إلى كثير مما ورد لدى "صلاح فضل"، ضمن مكونات المقاربة التداولية التي عالجتها انطلاقا من المستويات الخمس التي صنفتها وفق أهم نتائج الجهود التي نظرت للبحث التداولي على اختلاف الخلفيات والمرجعيات المعرفية (السيكو- سوسيو- لوجية، اللسانية، البلاغية الجديدة ، المنطقية، الفلسفية)، ولاسيما المستويات: الثاني والثالث والرابع.

2- المقــاربة التداوليــة:

إن مقاربة بين مفهوم التواصل والتداولية تفضي إلى أن موضوعها – التداولية – هو الإنسان نفسه وهو يباشر أدواره الاجتماعية. وهذه الأدوار تنعكس في مختلف السياقات التي تطبع الخطاب الذي ينتجه. والمقاربة التداولية من شأنها تحديد هذه السياقات؛ كونها – المقاربة التداولية - «"اقتراب" له جانب" الخطوة الأولى، الابتعاد"...، وهي "سياقية" لأن مفهوم السياق هو أحسن ما يسم هذه الطوبيقا*».

وبهذا يكون مجال المقاربة محددا في ما وراء البنية النصية، متجاوزة النص كبنية مغلقة، لا تحيل إلا على ذاتها، وتستند في تشكلها والتحامها وتماسكها على إمكانياتها وطاقاتها الداخلية الصوتية والصرفية والتركيبية، إلى الخطاب كبنية منفتحة على سياقات خارجية في علاقة تفاعلية مستمرة.

3-آليـات المقـاربة التداوليـة للنص التراثـي :

تطالعنا الخزانة التراثية العربية بأنماط نصية لا تختلف على مستوى الجنس فقط: الشعر والنثر، بل على مستوى البناء النصي للجنس الواحد.

وسيكون استقراؤنا للنص التراثي في هذه المداخلة انطلاقا من النصوص النثرية، وتحديدا النصوص (القصصية الخرافية المثلية)، والتي يمثلها خير تمثيل في هذا المجال، كتاب: ‹كليلة ودمنة›، "لابن المقفع".

من يطلع على الحكايا الخرافية في هذا الكتاب تتبادر إلى ذهنه أطياف متشاكلة ومتباينة من القضايا ، والتي يمكن لكل واحدة منها أن تنفرد ببحث خاص يتأتى لصاحبه أن يقول فيه ما يقول؛ إن كان على مستوى نوع النص: (القصصي(الحكائي) الرمزي)، أو قضية النص: (الإصلاح السياسي ونصح الملوك)، أو ما يسمى بـ: (الآداب السلطانية)، أو بناء النص: (المثلي الحجاجي)، والذي نفهم من ورائه أن المثل لا يساق إلا حجة ، وهذا هو الطابع الكلي لكتاب: ‹كليلة ودمنة›.

لكننا اختصارا للوقت والجهد، سنحاول مقاربة نصوص هذا الكتاب على مستويين:

أ- مستوى بنية الخطاب الداخلية (العلاقات الداخلية)، انطلاقا من رصد الأفعال الإنجازية: المباشرة وغير المباشرة.

ب- مستوى بنية الخطاب الخارجية؛ أي التفاعلات النصية التي تكون على مستوى تفاعل ذوات الخطاب مع المحيط الخطابي، أو القيمة الخارجية، والعلاقات التي تتجسد في كل من: "التشخيص" و"المقام".

1. البنية الداخلية للخطاب :

أ- الأفعال الإنجازية :

يعرّف "أوستن AUSTIN" الفعل الإنجازيّ بأنّه: « ما نقوم به خلال كلامنا »، بمعنى الآثار التي ينجزها كلامنا، والتي تخالف الفهم المجرّد لهذا الكلام، أي ارتباط الكلام أو القول بالحدث مباشرة كما يشير " فان دايك VANDIJK " الذي يجعل مفهوم الفعل الإنجازي في علاقة وثيقة مع مفهوم الحدث وقد يكشف تعريف موجز بديهيّ للفظ الفعل هذه العلاقة : فالفعل هو كلّ حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني.

ومن شروط إنجازيّة الأفعال اقتضاؤها لشروط وأحوال ذهنيّة سابقة، ولاسيما القصديّة، «لأن أحوال حصول الأفعال المنجزة عن قصد هي ما يمكن أن توصف بكونها أفعالا إنجازيّة ». ولأن التداولية تتلخص في علاقة العلامات

اللغوية بمستخدميها، فهي تمنح هذه الأفعال إطارا تواصليا ضمن بنية خطابية قابلة للتأويل؛ أي ما يسمى بالتأويل التداولي للعبارات.

يحيلنا لفظ (التّداولية) إحالة مباشرة إلى نظريّة أفعال الكلام، وهذه النظرية ترتبط بقطبين اثنين: " أوستن Austin " و" سيرل Searle " الذين قعّدا لها عن طريق محاولتهما لتقسيم الجمل، أو بتقسيم "أوستن Austin " للجملة الخبريّة إلى: وصفيّة (constative)، وإنشائيّة (performative) ثم عدوله عن هذا التّقسيم انطلاقا من تساؤله:

<< كم معنى هناك على أساسه يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمّنا في قولنا شيئا ، فعلنا لشيء معين ، أو يكون بواسطة قولنا شيئا فعلنا لشيء ما >>.

ومنه ميّز " أوستن Austin " أفعالا ثلاثة ترتبط بالقول (locution):

أ – فعل القول LOCUTIONARY ACT : وهو << إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد مالها من معنى (Sense) ومشار إليه (Référence) >>، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، ومع إعطائه معنى، يبقى غير كاف لإدراكنا أبعاده، كقولنا:

- إنها ستمطر.

مع فهمنا الكلّي لمعناها ، فلا ندري إن كانت خبرا أو تحذيرا من عاقبة الخروج، أو أمرا بحمل المظلّة؛ إلخ.

لذا وجد " أوستن " ضرورة إرفاق فعل القول بـ:

ب – فعل متضمّن في القول ILLOCUTIONARY ACT: هذا الفعل يشتمل على أمر زائد هو (القوة Force) التي للقول، فيقال للجملة السابقة في موضع أنّ لها قوّة الخبر، وأخرى أنّ لها قوّة التّحذير، وقوة الأمر في ثالث، وهكذا. لذا اقترح "أوستن" تسمية النّظرية القائلة بتنوّع وظائف اللّغة نظرية ((القوى المتضمّنة في القول ILLOCUTIONARY FORCE))و مع القيام بالفعل (أ) و( )، ينشأ فعل ثالث هو التّسبب في نشوء آثار في مشاعر أو أفكار أو أفعال المخاطب، أو المتكلم، أو غيرهما، على نحو كان الفاعل؛ أي المتكلم قد عمد إلى إيجاده ، من أمثلته: الإقناع ، التّضليل ، التّثبيط، و يسمّى هذا الفعل :

ج- الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول perlocutionary Act .

وهذا التّحديد لمعاني أفعال الكلام ومقاصدها، يجعله " فان دايك Van Dijk " غرضا رئيسيّا للتّداوليّـة في كتابه: ‹النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّـداولـي›:

<< التّحليل السّليم لأفعـال الكلام هو الغرض الرّئيسي للتّداوليّـة ، لأنّه لا يمكن أن يتمّ بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التّصرّف >>.

وهو يلحّ على ما يسمّى بإنجازيّة الفعل أو إعطائه تأويلا تداوليّا كمهمّة رئيسة أخرى، إضافة إلى وضعه في سياق معّين أو موقف من المواقف: << المهمّة الرئيسية للتّـداولية هي تـحويل ضروب الخطاب (الجمل) إلى أفعال منجزة، وعملية تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة يمكن أن تسمى أيضا تأويلا تداوليّـا للعبارات، والمهمّة الثّانية هي تنزيل هذه الأفعال في موقف معين، وصياغة الشّروط التي تنصّ على نجاح هذه العبارات في أي موقف مـن المواقف >>.

وتنقسم الأفعال الإنجازية في الخطاب إلى: أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة.

1-الأفعـال المباشـرة:

يكـون الفعـل مبـاشرا إذا تطابـق القـول "الفعـل Verbe وحكمـة Mode نـوع الجمـلة" مع "الإنشـاء illocution "، مثـل:

أعلـن عن اختتـام فعـاليـات الملتقـى.

آمـرك بالمغـادرة.

أسـدل الستـائـر.

أين وجـدت البطـاقـة؟

و هي أفعـال متواضـع عليهـا ، وتتـداول غالبـا بمعانيها الأصليّـة؛ أي يطـابق لفظها معناهـا مباشرة. وهي تحيل إلى أربعة أفعـال في الوقت نفسه:

1 -فعـل القـول. – Acte d’énonciation

2-فعـل الإسنـاد. – Acte propositionnel

3-فعـل الإنشـاء. – Acte performatif

4-فعـل التّـأثير. Acte perlocutif -

ومن أمثلة ذلك في كتاب ‹ كليلة ودمنة ›:

قالت السلحفاة مخاطبة الجرذ: « اعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل، وأن المريض الذي قد علم دواء مرضه إن هو لم يتداو به لم يغنه علمه، ولا يجد راحة ولا خفة ».

أ- فعل القول: وهو فعل التلفظ بالكلمات والجمل: اعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل.

ب- فعل الإسناد: يربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه؛ أي إسناد معنى القول إلى الطرف الآخر: أنت "اعلم" أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل. حيث تم إسناد الفعل إلى المفرد المخاطَب (الجرذ).

ت- فعل الإنشاء: يتحقق الفعل الإنشائي في القصد المتضمن في القول، إن كان نصحا أو عرضا أو تقييما وحكما...، والقصد المتحقق في هذا القول: هو تقديم السلحفاة النصيحة إلى صديقها الجرذ؛ بأن تمام الكلام مرهون بتمام العمل.

ج- فعل التأثير : يتوقف فعل التأثير على المعنى الذي يعطى للقول ، وفي المثال إضافة إلى الطرح ، ومدى وقوف المتلقي على معناه منفردا ، هناك حجة ملحقة تزيد في الإيضاح ، وتبلغ من التأثير حد الإقناع :

الطـرح:

الحجـة:

اعلم أن حسن الكلام لا يكون إلا بحسن العمل.

وأن المريض الذي قد علم دواء مرضه إن هو لم يتداو به لم يغنه علمه، ولا يجد راحة ولا خفة.

2- الأفعـال غير المبـاشـرة :

هو استخدام المتكلم أو المخاطب لعبارات إستعاريّة و أشكال قول مجازية بدل استخدام المعاني الحقيقية والجهر بما يريد الإدلاء به ؛ أي إجبار المتلقي على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم إلى قولـه .

كقـولنـا : كلمتـه سيـف .

إنّ المستمع لهذه العبارة يلغي وجوبا المعنى الحقيقي؛ أي كون الكلمة سيف (نـوع من الأسلحة)، ولا يحتفظ إلا بالمعنى المجـازي المـراد؛ وهو الصـرّامة و الجـديّـة.

وفد أطلق " غرايس Grice " مفهوم: " حكم الحديث Maximes Conversationnelles " على المقاصد غير المباشـرة للتّعـامل والتّـواصل ، و من بينها الكـلام غير المباشـر.

إن نصوص كتاب ‹ كليلة ودمنة › نصوص مجازية؛ اتخذت اللامباشرة منهجا، إن كان في نوعها أو شخوصها أو بناء خطابها، حيث اعتمد صاحبه التشابيه المتنوعة كمقدمات للمعنى الذي تسوقه الشخصية المتكلمة؛ والذي تختمه بمثل تحتج به، والتمثيل هنا يكون أعلى قيمة من مجرد ربط علاقات مشابهة بسيطة إلى ما هو أكثر تعقيدا وبعدا: « فهو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك ، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا، ومن ثمة اعتبر عاملا أساسيا في عملية الإبداع يستعمل في الحجاج (فهو قريب من الحجاج المقارني) دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري، حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة، ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام الفكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير ، جريا على مبدأ الاستعارة ». ومثاله: في مثل البوم والغربان، وهو مثل العدو المتظاهر باللين والمسامحة، فقبل أن يسرد الغراب مثلا لهذا المثل مهد له بكلام حكمي فيه من التشبيهات القريبة ما يبسط معنى المثل الأكبر الذي سيتلو كلامه ويكون بمثابة التشبيه الأكثر تعقيدا : « ... ذلك ولا بد لصاحب السر من مستشار مأمون يفضي إليه بسره ويعاونه على الرأي فإن المستشير وإن كان أفضل من المستشار رأيا فإنه يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار بالودك ضوءا. وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى والرفق في تبصيره خطأ إن أتى به وتقليب الرأي فيما يشكل حتى يتفق شأنهما. فإذا لم يكن المستشار كذلك فهو على المستشير مع عدوه. كالرجل الذي يرقي الشيطان ليرسله على الإنسان فإذا لم يحكم الرقية أضحى هو أسيرا للشيطان... »، وهكذا إلى أن يتهيأ لضرب المثل الذي مهد له بهذه التشبيهات.

1- البنية الخارجية للخطاب :

وستكون دراستها انطلاقا من الخاصية الحوارية للخطاب الحجاجي التداولي في هذا الكتاب، و"الحـواريّة" مكوّن أساس لكلّ كلام، وهي تتوزّع كخطاب بين متلفّظين فأكثر، وكونها من مستويات تجلّي البعد التـداولي للخطاب الحجاجي، فهي تقوم

على ركيزتين تختصران كثيرا من الخصائص الخطابية لتداوليّة الحجـاج في أي مستوى من مستويات الكتـابة خاصـّة، كونـها تفسح مجـالا أوسع لاستثمـار المعطيـات المتاحـة للخطـاب، وهـاتان الرّكيزتان هما: "التّشخيص" و"المقام".

أ- التشخيص:

التّشخيص لدى "بانفنيست" خاصّية تلفّظية، أوهو الإطار التّشخيصي للتّلفظ؛ لاقتضاء التّلفظ كبنية حوارية لصورتين هما: مصدر التّلفظ وهدفه. وهو نوع من أنواع الحجاج، سمّاه "طه عبد الرّحمن": "الحجـاج التّقـويمي"، الذي يعمد المستدل فيه إلى تجريد ذات ثانية من ذاته ينزّلها منزلة المعترض على قوله، يستنبط من فعل التّلقي لديها كلّ ردود الفعل المحتملة: استفسارات، واعتراضات، ويستحضر بهذا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا في الوقت نفسه إمكانات تقبّلها واقتناع المخاطب بـها. والتّشخيص عند " بيرلمان "دراسـة لطبيعة العقول تستدعي أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها وحيازة انسجامها الإيجابيL 'adition positive والتحامها مع الطّرح المعروض. وهذه الأمور النّفسية والاجتماعية تفقد بغيابها الحجـاج تأثيره وغـايته؛ لذا فهذا النّوع من الحوارات الإقناعية يبرز على صورتين: صريحـة وضمنية ، و الحوار الضّمني هو النوع الذي انبنى عليه "التّشخيص" في كتاب ‹كليلة ودمنة› ، حيث جرّد "ابن المقفع" من نفسه شخوصا كثيرة اقتسمت أفكاره وآراءه مجسدة في الشخوص التي اختارها بطلة في كتابه، والتي تنوعت بين إنسانية وحيوانية، وإن كان الحيوان أكثر حضورا وتأطيرا لفحوى الكتاب ، فكل شخصية من هذه الشخوص تشكل رمزا سياسيا حاضرا ، أو هي تشخيص مادي لقيمة مجردة « فها هنا لا يكتفي المستدلّ بالنّـظر في فعل إلقاء الحجّـة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه مـن ضوابط ومـا يقتضيه من شرائط ، بل يتعدى ذلك إلى النّـظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلّته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضـاته ومستحضرا مختلـف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبّـلها واقتناع المخاطب بها . وهكذا ، فإن المستدل يتعاطـى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه ، ومراعيا فيه كل مستلزماته التّـخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعامليّة، حتى كأنه عيّـن المستدلّ له في الاعتراض على نفسه».

فالمخاطب المتخيّـل هو دائما بالنّـسبة لمن يحاجج عبارة عن " بنية ممنهجة " نوعا ما ؛ أي أنه يؤطّر القول، ويجعله ملائما لظروفه الوارد فيها. فهذا المحاور المتوهم الذي على الخطيب تجريده من نفسه، أو من المقام، يعد خطّـة منهجية

ضرورية من صنع الخطيب ذاته، وبالتالي ممكن لنا القول إنه داخل في إطار العلاقة بين الجوانب النّفسية البحتة بالأطر الحجاجيّة.

والمتكلّم (خطيبا أو كاتبا) لا يستطيع تخيّل هذا المخاطب ما لم يكن على دراية عميقة بأحوال المخاطبين الرّاهنة، وبموروثهم الثّقافي والحضاري، وبهموم مستقبلهم.

ثم إنّ على المتكلّم الحذر في تخيّل هذا المخاطب، لأن الخطأ في التّقدير قد تنجم عنه ردّة فعل عكسية تودي بمسار البناء الحجاجي بكامله.

فهذا المخاطب هو الحامل للخصائص الجماعية الكبرى التي يتقاطع فيها السّواد الأعظم، إنّه بعبارة أخرى: الثقافة والحضارة والمجتمع والنصوص الخلفية الثّاوية في اللاوعي الجماعي الموجّهة للوعي وللفهم وللتعامل داخل الزّمرة الاجتماعية الخاصّة، وبالتالي يكون الخطأ في رسم صورته الفعلية مؤديا حتما إلى نتائج عكسية تماما.

وفكرة المخاطب المتخيل أو ما يسمى بـ (الخلق) ، أخذت تجليات عدة عند " بيرلمان ":

1- المخاطب الكوني (من دون خصائص أو معالم محددة أي عاما شاملا) .

2- المخاطب المحدد النّابع من مكونات مقام القول وإمكاناته التي على المتكلم – أيا كان – الإجادة في استغلالها والاعتدال في توظيفها .

3- المخاطب النابع من " الفاعل " أي المرسل للقول ذاته ، وجزءا من تجريداته وطموحاته.

ب- المقـــام :

يقرن " صلاح فضل " مصطلح المقام بالسياق في التداولية ، وذلك لأن التداولية تستخدم مفهوما تجريديا يدّل على الموقف التّواصلي هو " السياق " . فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به ؛ أي للعلاقة بين النص و السياق .

ولا يشمل السياق من الموقف إلا العناصر التي تحدد بنية النص و تؤدي إلى تفسيره، وهذا يجعل من التّداولية علما يعنى بالعلاقة بين النص و عناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، أو ما يطلق عليه: سياق النّص. وهذا المفهوم

التداولي يحيل على ما كان يشار إليه في البلاغة القديمة بعبارة: "مقتضى الحال"، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية: "لكل ّمقام مقال".

إن دراسة المقام كمكون حواري تقتضي دراسة "النظام القولي" بما يضمه من قرائن، كونها وسيلة من وسائل التحليل الأساسية، وهذه القرائن تعمل على كشف مجموع القيم المكونة للمقام أو مجموع المقامات الموزعة على مستوى النص. وقرائن الدراسة تتمثل في:

أولا : قرائن القول : تظهر وضعية المتكلم على مستوى اللغة من خلال:

1- السمات الذاتية: تنقسم إلى: أسماء الإشارة: تحيلنا على المتخاطبين؛ أي ضمائر الشخص الأول (المرسل)، والشخص الثاني(المتلقي). نظام الزمن:أو علامات التحديد الزمني: زمن الإلقاء (الحكي)، وزمن وقوع الأحداث.

2- المخصصات : وهي العبارات التي تحيل إلى درجة ثقة المتكلم فيما سيقول ، وهي نفسها التي يؤثر بها في سامعه .

3- الأفعال الذاتية: هي الأفعال أوالصفات التي يظهر بها المتكلم أو صاحب النص رد فعله بألفاظ شعورية أو تقييمية لشئ ما.

ثانيا : قرائن التنظيم: الغرض الأول والأخير منها هو تبيان وتوضيح مدى تناسق الأقوال الحجج وترتيبها على صعيدين:

1- الصعيد الخارجي: يظهر في شكل تقديم النص، ومن خلال العناوين خاصة.

2- الصعيد الداخلي: يكون فيه التّركيز على " الرّوابط الحجاجيّة "، وعلى كلّ ما يدل على مناحي الحجاج، كعبارات "التقديم"، و"الانتقال"، و"الاختتام".

ثالثا : قرائن المعجم: وهي مفردات النّص الحجاجي النّاتجة عن التّقابل في وجهات النّظر، وتكون هذه المفردات متضادة نظرا لكونها تعكس تضادا في الأطروحات، يرتبط بمختلف خصائص الشخصيات، كما تعكس أيضا موقف المؤلف من شخوصه، وذلك بأن يجعل لكل منها حقلا دلاليا خاصا بها يتماشى مع حالتها ومواقفها ،وواقعها المحيط بها.

قواعد الخطاب التداولي :

يعد بول جرايس H.P.Grice من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية natural language ألقى محاضراته في جامعة هارفارد عام 1967م، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام 1975م في بحث له بعنوان:"المنطق والحوارLogic and Conversation"، وفيه بلور جرايس "مبدأ التعاون"، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسِل للتعبير عن قصده، مع ضمانة قدرة المرسَل إليه على تأويله وفهمه، وصاغه على النحو الآتي : ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار.

- إن من المفترض عادة أن تكون الجمل التي نستعملها جملاً تامة الفائدة، ومناسبة للمقام، وقد صار هذا جزءًا مما بات يعرف بمبدأ التعاون cooperative principle اللازم للمحادثة، وحين يبدو الكلام غير تام الفائدة، أو غير مناسب للمقام، فإن السامع أو القارئ يفترض حينئذ أن عليه أن يستنبط ما يردُّ به هذا الكلام إلى حال "الإفادة" و"المناسبة".

وقد تفرّع عن هذا المبدأ عدد من المبادئ الرئيسة، وهي:

1- مبدأ الكم The Maxim of Quantity (قاعدتا كم الخبر):

أ- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

ب- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب

وينص هذا المبدأ على أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، ويجب أن يكون الخطاب دالا على المطلوب، أي لا يفيد أكثر مما ينبغي، ويوافق هذا المبدأ، مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي أثبته اللغويون المعاصرون وهو يقول: إن الإنسان لا يبذل من الجهود العلاجية أو الذهنية في إعمال آلة الخطاب إلا بقدر ما يستطيع إفادة المخاطَب، وبعبارة أخرى: فإن هم المتكلم أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقل عدد ممكن من الجهود.

وقد يتجاوز عن الكمية عند الاستخفاف Flouting بها، أو استغلالها Expltation، للتوصيل إلى استدلالات متتابعة إلى المقتضى الذي يقتضي إبلاغه، والتجاوز عن مبدأ الكم يحصل عندما يأتي النص بشكل غير مباشر عن طريق الكناية، والتلويح، والرمز، والاستعارة.

2- مبدأ الكيف The Maxim of Quality (قاعدتا كيف الخبر):

أ- لا تقل ما تعلم كذبه.

ب- لا تقل ما ليست لك عليه بينة.

وينص على أن تتصف مساهمة المتخاطبين بالصحة، ويهتم فيه بجانب الصدق طرحًا من المرسِل وإجابة من المستقبل؛ فالأول في مقام يفرض عليه الإيمان بصدق قوله ليقابله صدق الإجابة، ويكون الطرفان على نحو من التفاهم والانسجام.

ويتجاوز مبدأ الكيف إما للتهكم Satire أو للمزاح.

3- مبدأ المناسبة أو الترابط The Maxim of Relevance (قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال):

- ليناسب مقالك مقامك.

ويؤكد هذا المبدأ أن يكون الكلام مناسبًا لموضوع الحوار وملائمًا له، أي: يكون الكلام ذا دلالات مباشرة وصريحة، وغرضه أن تحقق أجزاء الخطاب الواحد توافقًا دلاليًّا يحملها على عدم التعارض؛ فلا يكون الخطاب خطابًا، إذا كان أوله لا يشبه آخره، تنافرًا وتعارضًا.

وقد يتجاوز عنه في الكلام غير المباشر بغرض التأدب مثلا.

4- مبدأ النوع أو الطريقة The Maxim of Manner (قواعد جهة الخبر):

أ- لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الإجمال.

ج- لتتكلم بإيجاز.

د- لترتب كلامك.

وإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطَب اليقظ ذلك، وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك، كما أن انتهاك مبادئ الحوار لا يقتصر على التعبير الحقيقي بل يشمل المجازي أيضًا، وهو متحقق أيضًا في كل مفارقة irony يراد بها عكس ما يقال، أو غير ما يتوقع.

لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية؛ إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون؛ فإذا وقعت هذه المخالفة، فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية، كما إذا قال القائل :"لقد اشتد الحر بنا في هذا المكان"، وهو يقصد أن يبادر أحد المستمعين إلى فتح النافذة؛ فهذا القول في ظاهره خبر يخل بقاعدة الكم، إذ يخبرنا بما نحن على علم به، لكنه في باطنه طلب نهتدي إليه بافتراض أن القائل يأخذ بمبدأ التعاون .

++ الاستلزام الحواري:

لقد كان مفهوم جرايس للاستلزام الحواري conversational implicature أهم إسهاماته في تطور التداولية، وتكمن أهميته في أنه يشكل نقطة تحول واضحة عن أنواع الاستدلالات الأخرى المسموحة في دراسة المنطق المبنية على شروط الحقيقة، والاستلزام الحواري لا ينجم إلا إذا تم خرق أحد المبادئ الفرعية الأربعة السابق ذكرها مع الاحتفاظ بأصل مبدأ التعاون، وهنالك بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في جملة ما حتى تستلزم معنى مقامي مغاير لمعناها الحرفي وهي:

- يتوجب على المشاركين في الحديث أن يحترموا مبدأ التعاون.

- يجب أن يفترض المتكلم أن المستمع يدرك المعنى المستلزم.

- يجب أن يكون المستمع قادرًا على الاستنتاج انطلاقًا من الافتراض القائم على مسلمة الملاءمة.

- على المشاركين في الحديث أن يحترموا السياق اللغوي وغير اللغوي في الخطاب.

- يجب على المتكلم أن يحترم المعنى العرفي وأن يعرف العبارات الإحالية.

أمثلة على الاستلزام الحواري:

في كل مثال من الأمثلة التالية تم تجاوز أحد المبادئ التي ذكرها جرايس، مما نتج عنه استلزام حواريّ يفهمه المخاطب اعتمادًا على بقاء مبدأ التعاون بين المتكلم والمستمع.

انتهاك مبدأ الكمية :

المثال الأول: في وقت التسجيل، كان كل أعضاء فريق البث من الإذاعة البريطانية.

الاستلزام الحواري: واحد أو أكثر منهم ليس عضوًا في فريق البث البريطاني الآن.

المثال الثاني: في حوار يجري بين الأم وولدها:

- تقول الأم: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

- يجيب الابن: اغتسلت.

في هذا الحوار انتهاك لمبدأ الكم؛ لأن الأم سألته عن أمرين فأجاب عن واحد وسكت عن الثاني، أي أن إجابته أقل من المطلوب، ويستلزم هذا أن تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة، وأنه لم يرد أن يجيب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئًا لم يقم به، ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن وضع ثيابه في الغسالة.

انتهاك مبدأ الكيفية :

المثال الأول: حوار بين صحفي وناطق رسمي:

- الصحفي: هل لعبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أي دور في مغادرة دوفاليار؟ هل شجعته فعلًا، على سبيل المثال على المغادرة؟

- الناطق الرسمي: لن أحاول إبعادك عن ذلك الاستنتاج.

الاستلزام الحواري: لقد لعبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية دورًا ما، على الرغم من أن الناطق الرسمي ليس في موقع يسمح له بالالتزام بمثل هذه النتيجة.

المثال الثاني: في حوار بين التلميذ والأستاذ:

- التلميذ: طهران في تركيا، أليس هذا صحيحًا يا أستاذ؟

- الأستاذ: طبعًا، ولندن في أمريكا!

في هذا الحوار انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول ما لا دليل عليه، وقد انتهكه الأستاذ عمدًا ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله بشيء كهذا، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ؛ لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئًا غير ما تقوله كلماته، وهو أن قول التلميذ غير صحيح.

انتهاك مبدأ المناسبة أو الترابط:

المثال الأول: حوار بين الضيفة وباسل:

- الضيفة: هل وصل الدكتور؟

- باسل: ماذا تفضلين أن تشربي؟

- الضيفة: يا باسل، هل وصل الدكتور؟

- باسل: عصير اللوز.

الاستلزام الحواري: لا يرغب باسل في الإجابة عن السؤال.

المثال الثاني: في حوار بين رجلين:

- الرجل الأول: أين زيد؟

- الرجل الثاني: ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

وما قاله الرجل الثاني بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، فهو ينتهك مبدأ العلاقة المناسبة بالموضوع، ولكن السائل في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه ما العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو وسؤالي عن مكان زيد؟ ثم يصل إلى أن المراد بهذا القول إبلاغه رسالة مؤداها أنه إذا كانت لزيد سيارة صفراء فلعله عند عمرو.

انتهاك مبدأ النوعية أو الطريقة:

المثال الأول: الأخوات الكبار هن سرطان العشب في مروج الحياة.

الاستلزام الحواري: الأخوات الكبار لسن لطيفات ولديهن نزعة للسيطرة.

المثال الثاني: في حوار بين رجلين:

- الرجل الأول: ماذا تريد؟

- الرجل الثاني: قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

وواضح مما قاله الرجل الثاني انتهاكًا لمبدأ من مبادئ الطريقة وهو "أوجز" إذ كان يكفي أن يقال: افتح الباب، وإذا نظرنا إلى هذا القول في ضوء تحقق مبادئ الحوار الأخرى كان لابد أن المتكلم يحاول به وجهًا غير ما يظهر، قد يكون مؤاخذته على ما يتميز به من بطء وتكاسل.

وبشكل مشابه يمكن شرح المعاني الضمنية في حالات السخرية والمعاني المجازية من خلال الرجوع إلى مبدأ التعاون.

- ويفرق جرايس بين نوعين من الاستلزام:

أ- الاستلزام العرفي أو الاصطلاحي conventional implicature: وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، ومن ذلك مثلا في الإنجليزية (but) ونظيرتها في اللغة العربية (لكن) واللتان تستلزمان أن يكون ما بعدهما مخالفًا لما يتوقعه السامع.

ب- الاستلزام الحواري conversational implicature: متغير دائمًا بتغير السياقات التي يرد فيها، ولهذا النوع بعض الخواص منها:

1- الاستلزام الحواري يمكن إلغاؤه defeasible، ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه.

2- الاستلزام الحواري لا يقبل الانفصال non-detachable عن المحتوى الدلالي، ويقصد جرايس بذلك أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

3- الاستلزام الحواري متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة.

4- الاستلزام الحواري يمكن تقديره calculability والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

لكن التمييز بين النوعين لا يمكن الحفاظ عليه دائمًا، حيث يمكن للألفاظ المستخدمة في صيغ الطلب المؤدب كما في: من فضلك، هل يمكنك أن ..؟ التي تحسب قوتها أولاً بواسطة الاستلزام الحواري فقط، يمكن أن تصبح عبر الاستخدام المتكرر في نطاق الاستلزام الاصطلاحي.

- ويمكن أن نلخص رؤية جرايس للدلالة اللغوية للعبارة في أنها تنقسم عنده إلى قسمين:

الأول- المعاني الصريحة: هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها (معاني مباشرة)، ويندرج تحتها :

1- المحتوى القضوي: يتمثل في معاني مفردات الجملة مضمومًا بعضها إلى بعض.

2- القوة الإنجازية الحرفية: المتمثلة في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة الاستفهام، الأمر، النهي.

الثاني- المعاني الضمنية: هي المعاني التي تفهم انطلاقًا من السياق الذي ترد فيه (المعنى المستلزم)، فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها، ويندرج تحتها:

1- المعاني العرفية: هي المعاني المرتبطة بالجملة، والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة ويواكبها نوعان من المعاني: الاقتضاء و الاستلزام المنطقي.

2- معاني حوارية أو سياقية: هي المعاني التي تتولد طبقًا للسياقات التي تنجز فيها الجملة ويواكبها نوعان من المعاني هما:

أ- الاستلزام الحواري الخاص: وهو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق خاص.

ب- الاستلزام الحواري العام: وهو عبارة عن المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة.

ويسمي جرايس الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام بـــ"تحجر القوة الإنجازية المستلزمة".

4- المنهج المقارن .

موضوع علم اللغة المقارن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية (المعجمية) في اللغات المنتمية الى أسرة لغوية واحدة ، أو فرع من فروع الأسرة اللغوية الواحدة . وهنا يقوم المنهج المقارن في علم اللغة على أساس تصنيف اللغات الى أسر . وقد تمكن العلماء في بحث (فصائل اللغات) من تقسيم اللغات الى أسر وفصائل بمقارنة هذه اللغات واكتشاف أوجه الشبه بينها من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ووجود جوانب لشبه أساسية بين عدد من اللغات معناه أنها إنحدرت من أصل واحد مشترك أي من اللغة الأولى التي تفرعت منها هذه اللغات على مر التاريخ . ووجد العلماء ظواهر مشتركة على مدى القرون بين إيران والهند وأوربا فعدوا هذه اللغات أسرة لغوية واحدة خرجت جميعها عن لغة قديمة منقرضة أطلق عليها العلماء اسم اللغة (الهندية الأوربية الأولى) . ووجد العلماء اللغة العربية والعبرية والفينيقية و الأكدية والحبشية تحمل بعض الخصائص الأساسية المشتركة فاستنتج العلماء أنها لغات تؤلف أسرة لغوية واحدة وأنها انحدرت من أصل واحد أطلقوا عليها (اللغة السامية الأولى) فمقارنة اللغات المختلفة المنتمية الى أسرة لغوية واحدة هو موضوع البحث في علم اللغة المقارن .

فعلم (اللغات السامية المقارن) يقارن بين اللغات الأكدية والأجريتية والعبرية والفينيقية والآرامية والعربية الجنوبية والعربية الشمالية والحبشية ، لأن هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة .وعلم (اللغات الهندية والأوربية المقارن) يبحث اللغات المختلفة التي تدخل في إطار هذه الأسرة اللغات الهندية الأوربية عدد من الفروع اللغوية أهمها (الفرع الجرماني والفرع الروماني والفرع السلافي والفرع الإيراني والفرع الهندي) ويقع ضمن كل فرع من هذه الفروع مجموعة من اللغات كذلك صار لكل فرع منها علم مقارن مثل (علم اللغات الجرمانية) المقارن ويشمل (الألمانية والإنكليزية والدنماركية) ، فالأسرة اللغوية أو الفرع من الأسرة هو موضوع علم اللغة المقارن . علما أن المقارنة يقصد الدراسة من جميع الوجوه أي دراسة وجوه الشبه ووجوه الاختلاف .

علم اللغة المقارن (التقابلي) في التراث العربي

- علم اللغة التقابلي في القرن العشرين عند علماء اللغة الأمريكيين والأوربيين:

يزعم علماء اللغة الغربيون (Fries, 1945; Lado, 1957) أن التحليل التقابلي طوّر ومُورِس في الخمسينيَّات والستّينيَّات من القرن العشرين كتطبيق لعلم اللغة البنيوي في تعليم اللغة. وظهر نتيجة لتطبيق علم النفس السلوكي (Skinner, 1957) وعلم اللغة البنيوي (Bloomfield, 1933) في تعليم اللغة. ويقصد بعلم اللغة التقابلي أو التحليل التقابلي: هو مقارنة النظام اللغوي بين لغتين مختلفتين، مثلاً النظام الصوتي أو النظام النحوي في اللغة العربية واللغة الماليزية. ويهتم التحليل التقابلي ببيان أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة الأولى واللغة الثانية. وإن أكثر الأخطاء تأتي بسبب التدخل من اللغة الأم. ولهذا يدعي بأن الأخطاء ضارة ويجب أن تزال. ولقد كان أكثر نجاحاً في علم الأصوات من المجالات الأخرى من اللغة. ويستند التحليل التقابلي على الفرضيات الأتية :

1- إنّ الصعوبات الرئيسة في تعلّم لغة جديدة سببها التدخل أو النقل من اللغة الأولى. والنقل نوعان: إيجابي وسلبي. النقل الإيجابي: يجعل التعلم أسهل، وهو نقل قاعدة لغوية من اللغة الأم إلى اللغة الهدف، ويمكن أن تكون اللغة الأم واللغة الهدف تشتركان في القاعدة نفسها. والنقل السلبي: يُعْرَف عادة بالتدخل. وهو استخدام قاعدة في اللغة الأم تؤدي إلى خطأ أو شكل غير ملائم في اللغة الهدف.

2- هذه الصعوبات يمكن أن يتنبأ بها التحليل التقابلي.

3- يمكن استعمال المواد التعليمية في التحليل التقابلي لتقليل آثار التدخل.

أما آراء العلماء في تعليم اللغة من خلال التحليل التقابلي فتنقسم إلى ثلاثة اتجاهات وهي:

أولاً : المؤيدون. يرون أن التحليل التقابلي يمكن أن يتنبأ الأخطاء. ولقد صرّح

(Fisiak, 1981) "بأنّ التحليل التقابلي ضروري للمعلمين، ومصمّمي المناهج الدراسية ومُعدِّي المواد التعليمية...". و(Nyamasyo, 1994) استنتج من دراسته

على الطلاب الكينيين بأنّ "طريقة التحليل التقابلي ستكون مفيدة في إبراز المشكلات الصعبة التي تواجه الطلاب".

ثانياً : المعارضون. يدّعون بأنه لا يستطيع توقّع أو التنبؤ بالأخطاء، وخاصة في النحو. ولكنه يمكن أن يوضّح الأخطاء فقط. ويضع (1974Van Buren,) التسويغ للتحليل التقابلي بأنه يوجد في قوّته التوضيحية بدلاً من قابليته لتوقّع أو تنبؤ الأخطاء أو الصعوبات في اللغة الثانية. أما (1972Whitman & Jackson,) فقد أجريا اختبارين في النحو الانجليزي لِـ: 2500 طالب ياباني ليختبرا "نظرية التحليل التقابلي في النحو الانجليزي وإمكانيته في التنبؤ أو توقّع المشكلات التي تواجه الناطقين غير الأصليين في اللغة الانجليزية" فأظهرت نتيجة الاختبار بأن التدخل أو النقل لعب دوراً ضئيلاً في تعلّم اللغة.

ثالثاً : المعتدلون. يرون أن التحليل التقابلي مفيد. لذا لا بد من دمج التحليل التقابلي وتحليل الأخطاء (2000Jassem,) مع بعضهما بعضاً باعتبارهما أساليب يمكن أن تزود المعلم بالنظر في عملية التعلم. ولقد لخص (1980James,) هذا بقوله: "...كلّ طريقة (التحليل وتحليل الأخطاء) لها دورها الحيوي في تفسير مشكلات التعلم. ويجب على كل منها أن تتمّم الأخرى بدلاً من كونها منافساً لها.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة عن علم اللغة التقابلي في الغرب نعود إلى دراسة جذور وأسس هذا العلم عند العرب القدامى لهذا العلم الأصيل. وسنمهد لهذا العلم بمقدمة ذات صلة بالموضوع عن تعلم ودراسة اللغات قديماً عند العرب.

- تعلم ودراسة اللغات عند العرب في القديم

إن طرائق التدريس أخذت بالتعدد والتنوع منذ بداية القرن الحالي نتيجة أسباب كثيرة، منها الحاجة لتعلم اللغات المختلفة ودراستها التي لم تكن معروفة سابقاً، والتي قدمتها لنا الدراسات الأنثروبولوجية، وخصوصاً في بداية القرن الحالي والعقود التي تلته.

أن تعلم ودراسة اللغات لم تكن معروفة في السابق، وترانا لا نرى رأيهما، ونؤكد بأن تعلم اللغات ودراستها كان معروفاً منذ العصر الجاهلي، فنجد في شعر امرئ القيس بعض الألفاظ الرومية مثل السجنجل وغيرها... وكذلك نجد في شعر الأعشى بعض الألفاظ الفارسية مثل العظلم والأرندج، حيث يقول:

عيله ديابوذ تشربل تحته   أرندج إسكاف يخالط عظلما

الديابوذ: ثوب ينسج على نيرين. أرندج: جلد أسود. عظلم: نوع من الشجر يخضب به.

ويذكر أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني خبراً (ج2، ص 101)، إن عدي بن زيد العبادي وهو شاعر جاهلي معروف، قد تعلم الكتابة والكلام بالفارسية، ويقول: (فلما تحرك عدي بن زيد، وأيفع طرحه أبوه في الكُتاب، حتى إذا حذَقَ أرسله المَرْزُبان مع ابنه (شاهان مَرْدْ) إلى كُتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية، حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر.

وفي العصر الإسلامي نجد أن الرسول العربي صلى الله عليه وسلم قال: [من تعلم لغة قوم أمن شرهم]. وكذلك فقد أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة السريان: رُوي عن زيد أنه أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بتعلم لغة السريان (انظر ابن الأثير: ج2، ص 222، ومسند الإمام أحمد: ج 5،ص 182): (قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تُحسِن السريانية أنها تأتيني كتب. قال: قلت: لا. قال: فتَعَلَّمْها فتعَلَّمَها في سبعة عشر يوماً.

وأما في العصر العباسي فهو غني عن التعريف فقد فتح المأمون دار الحكمة، وكان فيها قسم للترجمة من وإلى اللغة العربية واللغات الأخرى، ونجد أن ابن المقفع مثلاً قد تعلم لغة الفرس والهنود وترجم الكثير من قصصهم وآدابهم، مثل كليلة ودمنة وغيرها.

وفي العصر الأندلسي (كمال: 1982)، نجد أن العبريين تعلموا اللغة العربية وألفوا كتبهم اللغوية والعلمية والأدبية باللغة العربية. فهذه الدلائل تؤكد بأن تعلم اللغات كان معروفاً منذ القديم وليس وليد القرن الحالي.

ونعود الآن إلى الفرضيتين الأخيرتين الثالثة والرابعة لمناقشتهما وهما:

- الدراسات العربية التي أسهمت في ميدان تعليم الأصوات وتعلّمها.

- والدراسات العربية التقابلية القديمة بين العربية وغيرها من اللغات.

من المعروف إن متعلمي اللغة العربية الأجانب يواجهون صعوبات في نطق الأصوات العربية في أثناء تعلمهم إياها. وهذه الصعوبات الصوتية التي تواجه

المتعلمين للغة العربية مشكلتها قديمة وليست ناعمة الأظفار. فقد تحدث عنها القدامى والمحدثون من علماء العربية.

فقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى ظاهرة اللثغة في كتابه العين. فقال: الثعثعة: حكاية كلام الرجل يغلب عليه الثاء والعين فهي لثغة في كلامه... الذعاق بمنزلة الزعاق. قال الخليل: سمعناه فلا ندري ألغة هي أم لثغة. وقال أيضاً: وليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية.

ولقد تناول سيبويه (1983م، ج4، ص305-306) في باب اطراد البدل في الفارسية، مسألة تعلم الفرس للغة العربية. فالفرس عندما يتعلمون اللغة العربية، ويواجهون بحرف جديد، فإنهم يبدلون الحرف الذي لا يوجد في لغتهم إلى أقرب حرف له في المخرج في لغتهم الأم؛ فيقول:

"يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربها منها. ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنها ليست من حروفهم. وذلك نحو الجربز، والآجر، والجورب. وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم: قربز، وقالوا: كربق، وقربق" ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم، إذا وصلوا الجيم وذلك نحو: كوسه، وموزه؛ لأن هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس، همزة مرة وياء مرة أخرى. فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم. وأبدلوا الجيم، لأن الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل. والهاء قد تشبه الياء، ولأن الياء أيضاً قد تقع آخرة. فلما كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف. وجعلوا الجيم أولى لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي إلى بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى. وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول، فأشرك بينهما، وقال بعضهم: كوسق، وقالوا: كربق، وقالوا قربق... فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية".

فهنا يبين لنا سيبويه: أن متعلم اللغة الثانية يبدل الحرف الذي لا يوجد في لغته الأم إلى أقرب حرف له في المخرج في لغته الأم.

ولقد أسهب الجاحظ أيضاً في حديثه عن مشكلة اللثغة واللكنة وبعض عيوب أمراض اللسان عند بعض الناس. ومن خلال عرضه لهذه المسألة، تحدث عن تعلم الأجانب لأصوات اللغة العربية، وقد قام بشرح اللثغة، وذكر أسبابها، وطريقة علاجها.

ولنستمع لما يقوله عن اللثغة (ج1، ص34-35):

قال أبو عثمان: وهي أربعة أحرف: القاف، والسين، واللام، والراء... فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم... واللثغة التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له.. وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله: اعتللت: أعتييت... وأما اللثغة التي تقع في الراء، فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف: فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال: عمي، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال: عمذ، فيجعل الراء ذالاً...، ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة، فإذا أراد أن يقول: مرة قال مظة.

ثم يذكر بعد ذلك أسباب اللثغة وهي (ج1، ص57-61):

2- سقوط بعض الأسنان؛ حيث يقول الجاحظ على لسان سهل بن هارون: "وقال سهل بن هارون: (لو عرف الزنجي فرط حاجته على ثناياه في إقامة الحروف، وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه".

ويقول أيضاً: (وقد صحت التجربة، وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر. وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم، وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع.

هذه هي اللثغة التي تحصل في مخارج الألفاظ، وأسبابها، أما طريقة علاجها كما يبرهن عليها الجاحظ، فهي كالتالي (ج1، ص 36):

"فأما التي على الغين فهي أيسرهن، يقال إن صاحبها لو جَهَدَ نفسه جَهْدَه، وأحدَّ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يَكُ بعيداً من أن تُجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً".

فالطريقة الناجحة للعلاج برأيه هي كثيرة التمرين والتدريب على النطق. ويبرهن على هذا بالدليل الواقعي العلمي من واقع التجربة التي جربها وشاهدها، مع ذكر اسم الشخص الذي كانت له اللثغة، وكان مشهوراً بها، حيث يقول (ج1، ص36-37):

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، وكان إذا شاء أن يقول: عمرو، ولعمري، وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له: إذا كان المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم.

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء على الصحة، فتأتّى له ذلك. وكان يدع ذلك استثقالاً... ويقول في موضع آخر (ج1، ص70): (... فبِطول استعمال التكلف ذلّت جوارحه لذلك. ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه. وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ، وصور الحركات والسكون.

أما اللثغة التي تعرض للحروف فهي مختلفة عن هذه، حيث يقول (ج1، ص70):

"فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى السندي إذا جلب كبيراً فأنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عليا تميم، وفي سفلى قيس، وبين عُجَّز هوازن، خمسين عاماً. وكذلك النبطي القح، خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول: زورق، قال: سورق، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول: مشمعل، قال: مشمئل".

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجاحظ يرى أن السندي إذا جلب كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن ينطق الجيم زاياً... ففي زمنه لم تكن الأجهزة والوسائل الحديثة التي تساعد في تعلم النطق الجيد متوفرة، لعلاج مثل هذه الحالات التي تعترض متعلمي اللغة الثانية، فهذه الأجهزة من معامل لغوية ووسائل تعليمية وأجهزة تسجيل وغيرها تعين كثيراً في التعلم. ويمكن أن تتغلب على العادات اللغوية بالتدريب المستمر والمتواصل.

ثم نراه يُفصِّل القول في حديثه عن ظاهرة عدم إفصاح لسان المتكلم عن البيان، أو أسباب الصعوبة. فنراه يرجئ هذه إلى أمور أهمها، حيث يقول (ج1، ص71-72):

"والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور: منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشؤوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج، المسترخي الحنك، المرتفع اللثة، وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم".

فسبب عدم الإفصاح أو الصعوبة هو اللثغة واللكنة. واللثغة قد ضرب لها من الأمثلة الكثير. أما اللكنة فمنها لكنة الأدباء ومنها لكنة الشعراء الخ... ومنها لكنة العامة، فاما لكنة الشعراء والأدباء، منها ما يأتي:

اللكن من كان خطيباً، أو شاعراً، أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أو أمامة، وهو زياد الأعجم. قال أبو عبيدة: كان ينشد قوله (ج1، ص71):

فتى زاده السلطان في الودِّ رفعة   إذا غيَّر السلطان كل خليل

قال: فكان يجعل السين شيناً، والطاء تاء، فيقول: (فتى زاده الشلتان).

ومنهم من يجعل الشين سيناً، فبدل أن يقول: شعرت، يقول: سعرت... فهو هنا يذكر أنواعاً من اللكن، منها ما كانت رومية، ومنها ما كانت فارسية، ومنها ما كانت نبطية، ومنها ما كانت سندية، وغيرها... (ج1، ص72).

فأما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ في المنطق. فمنهم من يجعل: الحاء هاء، فبدل أن يقول: حمار وحش، يقول: همار وهش... (ج1، ص73).

ومن اللكن من يجعل القاف كافاً. وقال بعض الشعراء في أم ولد له، يذكر لكنتها (ج1، ص73-74):

أول ما أسمع منها في السحر   تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر

والسوءة السوآء في ذكر القمر

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر، قالت: الكمر ومن خلال هذا نجد أن الجاحظ قد تبين أهمية هذه الظاهرة في تعلم أصوات اللغة وتعليمها، من خلال حديثه عن اللثغة واللكنة وبعض أمراض وعيوب اللسان. كما نجده يقارن بين لثغة العربي ولكنته، مع لثغة الفارسي والنبطي والرومي والصقلبي والسندي ولُكَنِهم... (والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالاً في الحروف.

وقال أيضاً (ج1، ص64-65): (ولكل لغة حروف تدور في اكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، والجرامقة للعين). ونجد اللغوي الأصمعي يقول (انظر، الجاحظ): (ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال.

هذا وقد كانت دراسة الجاحظ للثغة دراسة ميدانية، اعتمد فيها على عينة من الناس، وكان يبرهن على ما يقوله بالدليل المنطقي الواقعي الملموس.

أما السيوطي فقد تحدث عن مسألة الإبدال في الحروف عند العرب، فقال: (حروف لا تتكلم العرب بها إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها: وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء، مثل: بور، إذا اضطروا قالوا: فور.

ويقول في موضع آخر: (انفردت العرب بالهمز في عرض الكلام، مثل: قرأ، ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً. ومما اختصت به لغة العرب الحاء والطاء، وزعم قوم أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم. وقد انفردت العرب بالألف واللام التي للتعريف، كقولنا: الرجل والفرس؛ فلسيتا في شيء من لغات الأمم غير العرب.

ومما يجب التنويه إليه في رأي السيوطي هنا هو قوله: عن انفراد العرب بالهمز في عرض الكلام. فنجد أن الهمزة يمكن أن تأتي في عرض الكلام في اللغات الأخرى. ففي كثير من اللهجات الانكليزية في بريطانيا (جاسم، 1992) "يرد لفظ التاء (T) بطرق مختلفة. ففي أول الكلمة تلفظ تاء، مثل: Tea، فتنطق (تِي)، أما في وسطها ونهايتها، فتلفظ همزة عندما تكون بين العلات (أحرف العلة). مثال ذلك: عندما تأتي التاء في وسط الكلمة (Water) فإنها تنطق همزة (وُأَر)، وكذلك في نهاية الكلمة: But فتنطق: (بأ، أو بتء)، أي أنها تنطق همزة من دون التاء، وتنطق تاء وهمزة معاً".

وفي اللغة الملايوية (الماليزية) تنطق الهمزة في أول الكلمة ووسطها ونهايتها. فمثلاً، في أول الكلمة: (أَتَوْك) وتعني: جَدّي... وفي وسط الكلمة: (كِرَاجَأن) وتعني الحكومة. وفي نهاية الكلمة: (تأ) وتعني أداة النفي لا، مثال: تأ أدا، وتعني غير موجود... أو (توء) وتعني جَدّي.

من خلال مراجعة هذه الدراسات العربية القديمة اتضح لنا أنها أسهمت في ميدان علم اللغة التقابلي، وتعليم الأصوات وتعلمها عند غير العرب.

ومن المعلوم أن علم اللغة التقابلي عندما يقوم بدراسة في أي مستوى من مستويات اللغة يبدأ بوصف نظام كل واحدة من اللغتين على حدة، ثم يقابل بينهما، ويقوم بحصر أوجه التشابه والاختلاف بين نظامي اللغتين المدروستين، ثم ينتهي بنتائج البحث فيقول مثلاً: إنه توجد هذه الأصوات في اللغتين، ولا توجد تلك الأصوات في إحداهما. فالأصوات التي لا توجد في اللغة الثانية تسبب صعوبة في أثناء تعلمها، والأصوات الموجودة في اللغتين لا تسبب صعوبة في أثناء تعلمها، ومن ثم اقتراح الطريقة المناسبة للعلاج.

وكما ينص علم اللغة التقابلي أيضاً على تأثير اللغة الأم في تعلم اللغة الثانية، وبالتالي ينقل المتعلم عاداته اللغوية من لغته الأم إلى اللغة الثانية التي يتعلمها (انظر، صيني 1982). ونحن نجد أن سيبويه، والجاحظ، والسيوطي ذكروا ذلك في

حديثهم عند تعلم الأجانب والعرب لأصوات اللغة الثانية، ولنستمع إلى ما قاله الجاحظ في هذا الشأن (ج1، ص70).:

"ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه".

فهو هنا يؤكد تأثير اللغة الأم على اللغة الثانية، حيث أن المتعلم ينقل عاداته اللغوية من لغته الأم إلى اللغة الثانية التي يتعلمها. وكما أشار إليه سبويه عندما قال: (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربه منها. ولم يكن من إبدالها بدٌّ؛ لأنها ليست من حروفهم... فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية.

فالمتعلم الذي يتعلم اللغة الثانية يبدل الحروف التي يتعلمها في اللغة الجديدة إلى حروف لغته الأم في حال عدم وجود هذه الحروف في نظام لغته.

ويبحث علم اللغة التقابلي أيضاً في كيفية تعلم الأجانب لأصوات اللغة الهدف، مثلاً الطالب الأجنبي ينطق الحاء هاء، ثم يبحث عن سر هذه المشكلة، لماذا ينطق الحاء هاءً؟ هل هي غير موجودة في لغته الأم؟ أم أن هناك سبباً آخر غير ذلك. كاعتياد أعضاء النطق عند الكبير على النطق بالطبيعة التي تكيفت معها أعضاؤه... فقد وجدنا أن الجاحظ قد تحدث عن هذه القضايا كلها مبيناً كيفية نطق العرب والأجانب للحروف، مع ذكر طريقة العلاج المناسبة لذلك، حسب ما كان سائداً من معارف في عصره. وفي حديثه عن اللثغة بين كل هذا بالتفصيل. وكما أن علم اللغة التقابلي في القرن العشرين يوصي: بكثرة التدريب على الأصوات التي توجد فيها صعوبة نطقية، كوسيلة من وسائل العلاج. فقد تحدث عنها الجاحظ سابقاً، وهي كثرة التمرين والتدريب على الأصوات التي توجد فيها الصعوبة.

ولقد أثبتت الدراسات اللغوية التقابلية الحديثة في دراسة الأصوات، أن المتعلم للغة ثانية يميل إلى استبدال الصوت الذي يتعلمه ولا يوجد في لغته إلى أقرب صوت له في المخرج في لغته الأم وبالأخص علم اللغة التقابلي. وأن الأصوات التي لا توجد في لغته الأم تشكل صعوبة نطقية له في أثناء تعلمها .

5- المنهج التاريخي :

تعريف المنهج التاريخي ومميزاته وعيوبه وأهميته في البحث العلمي

يعرف المنهج التاريخي بأنه المنهج الذي يقوم بإحياء الأحداث التي حصلت في الزمن الماضي ،وذلك من خلال جمع البيانات المطلوبة ، وتحليلها ، والتأكد من صحتها

وبعد أن يتم كل ذلك يقوم الباحث بعرضها بشكل دقيق ليصل إلى البراهين التي تظهر نتائج علمية واضحة ، ويتبع الباحث أثناء جمعه للمعلومات أسس علمية ومنهجية دقيقة ، بحيث يتمكن الباحث من فهم الأمور التي تجري في الوقت الحالي بناء على الأحداث التي جرت في الزمن الماضي ، وبالتالي يتمكن من استشراف المستقبل .

كما يعرف المنهج التاريخي بأنه البحث الذي يصل ويصف ويسجل الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، ويقوم بدراستها وتحليلها وفق مجموعة من الأسس المنهجية، وذلك من أجل فهم الواقع بناء على ضوء الماضي.

فالأحداث التي حدثت في الزمن الماضي سوف تتكرر بطريقة مشابهة في عصرنا الحالي مع اختلاف الأدوات، وبالتالي فإن الماضي يعطينا صورة عن الأمور التي من الممكن أن تحدث في عصرنا الحالي أو في المستقبل.

المنهج التاريخي

أهمية المنهج التاريخي في البحث العلمي

للمنهج التاريخي أهمية كبيرة في البحث العلمي ، وتكمن أهميته في عدد من النقاط والتي

: سنتناولها فيما يلي

يمكن للباحث أن يقوم بإسقاط الحوادث التي تحصل في الحاضر على الماضي ، ومن خلالها – سيكون قادراعلى استشراف المستقبل ، وتوقع عدد من الأمور والتي من الممكن أن تحدث

-يساهم المنهج التاريخي بالتأكيد على أهمية عدد ما من التفاعلات والتي حدثئت في الزمن الماضي ، ومدى تأثيرها على الأحداث التاريخية ، ومجرى التاريخ

لقد تم في الفترة الأخيرة تطوير وسائل بالبحث ، ومن ثم أصبح من الممكن تقديم معلومات جديدة لم تتم دراستها في الزمن الماضي .

خطوات إجراء المنهج التاريخي

توضيح مشكلة البحث وأبعادها

في البداية يجب على الباحث تحديد مشكلة بحثه

وصياغتها بطريقة جيدة ، كما يجب أن تعبر هذه المشكلة عن علاقة بين متحولين أو أكثر ، وتحديد البعد الزماني والمكاني لها .

جمع المادة التاريخية

وهنا يجب على الباحث العودة إلى الكتب التاريخية التي تناولت مشكلة بحثه ، وعليه البحث في المصادر والمراجع بشكل دقيق لجمع المعلومات المطلوبة حول بحثه ويقوم الباحث بالرجوع إلى المصادر الأولية من أجل جمع المعلومات منها، كما يلجأ إلى المصادر الثانوية أيضا والتي ستمده بمجموعة من المعلومات حول الحادثة التي يبحث عنها.

نقد مصادر البيانات

تتطلب البيانات التي جمعها الباحث فحصا دقيقا للتأكد من مناسبتها للبحث الذي يقوم به الباحث

كما عليه نقدها خارجيا من خلال معرفة سيرة الكاتب إن كان موضوعيا أو انحاز لطرف ما

أما في حال كان هناك تناقض بمحتوى الوثيقة التاريخية وهل كان الكاتب حرا أثناء كتابته للوثيقة التاريخية

أما نقدها داخليا فيتم من خلال التأكد من عدم وجود تزوير فيها والتأكد من أن كتابتها تمت بيد مؤلفها وبلغة العصر الذي كتبت فيه

من ثم التأكد من أن المؤلف شخص مؤهل ليكتبها

تدوين النتائج التي يصل إليها الباحث من بحثه

وفي هذه المرحلة يجب على الباحث عرض النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه ، ومن ثم يقوم بمناقشتها وتفسيرها .

وفي هذه المرحلة يجب على الباحث عرض النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه ، ومن ثم يقوم بمناقشتها وتفسيرها .

مميزات وعيوب المنهج التاريخي

شأنه شأن أي منهج في البحث العملي فإن له مجموعة من المميزات كما له مجموعة من العيوب ومن خلال ما يلي سوف نتعرف على مميزات وعيوب المنهج التاريخي.

مميزات المنهج التاريخي

إن الأسلوب المستخدم في المنهج التاريخي هو الأسلوب العلمي كما أن نقده للمصادر والمراجع التي يستخدمها يعد امرا من مميزات المنهج التاريخي

كما يتميز المنهج التاريخي باعتماده على المصادر الأولية والثانوية والتي تشكل عنصر قوة في حال تم نقدها داخليا وخارجيا بشكل صحيح.

عيوب المنهج التاريخي

من أبرز عيوب المنهج التاريخي أنه لا يقدم صورة كاملة للظاهرة المراد دراستها

بالإضافة إلى احتمال تعرض المصادر التاريخية للتزوير والضياع وعدم القدرة على إخضاع البيانات التاريخية للتجريب كما يصعب تعميم النتائج لأن الأحداث من الصعب أن تتكرر بتفاصيلها الدقيقة مرة أخرى ومن صعوبات المنهج التاريخي عدم القدرة على تطبيق الأسلوب العلمي في الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها ومن صعوبات هذا المنهج عدم القدرة على التعميم والتنبؤلأن الظواهر التاريخية ترتبط بظروف معينة، وقد يكون من المستحيل تكرارها.

ما هي أدوات جمع البيانات في المنهج التاريخي؟

يوجد هناك مجموعة من الأدوات التي من الأدوات التي تستخدم لجمع البيانات ومن بين أهم وأبرز هذه الأدوات:

1- تحليل المادة التاريخية من خلال استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة في التأكد من صحة هذه المادة أو عدم صحتها.

2- صياغة الفروض في المادة التاريخية.

وذلك من أجل تحديد مجال البحث ومساره واتجاهاته صياغة الفروض في المادة التاريخية وذلك من أجل تحديد مجال البحث ومساره واتجاهاته مراعاة الاعتبارات التاريخية .

حيث يجب أن يقوم بكتابة الحقائق التاريخية على بطاقات أو مذكرات وبشكل دقيق ومرتب كما يجب أن يقوم بدراسة البيانات التاريخية وتحليلها، وإظهار العلاقات فيهاومن خلال ما سبق أن للمنهج التاريخي دور كبير في الكشف عن الحوادث التاريخية والتأكد من صحتها ومن ثم إمكانية إسقاط هذه الحوادث على أحداث الزمن الحاضر الذي نعيش ونحيا فيه

المنهج التاريخي في اللغة العربية

يعنى هذا المنهج بدراسة تطور اللغة الوحدة عبر القرون ، فدراسة تاريخ اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية يدخل في مجال علم اللغة التاريخي ، ومعنى هذا أن دراسة تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى هي دراسة صوتية تاريخية ، وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية ،وتطور الجملة الشرطية أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسات الصوتية النحوية التاريخية ، والمعاجم التاريخية التي يسجل كل منها تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة من أقدم نص جاءت فيه متتبعا تطور دلالتها على مر التاريخ يعد أيضا من علم اللغة التاريخية .فالتاريخ الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي لأي لغة من اللغات يدخل في مجال البحث اللغوي التاريخي .ولا يتناول تاريخ اللغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب بل يبحث أيضا تطورها وحياتها في المجتمع ،فقضية انتشار لغة من اللغات والظروف التي مهدت له ،وأثر ذلك في بنية اللغة تعد من الموضوعات التي يدرسها علم اللغة التاريخي .

ومن تاريخ العربية قضايا وظواهر غير ما تقدم تصلح للبحث اللغوي التاريخي فما أدخله اللغويون في باب الشاذ من كلام ،يعد من بقايا مرحلة تاريخية مبكرة في حياة العربية ، فاقتران صيغة المضارع بالألف واللام : كقول الشاعر :

ما أنت بالحكم الترضى حكومته

وصيغة (يفعول) مثل (يربوع ويعسوب) فهذه وأمثالها مرحلة من مراحل التطور الصرفي لصيغة المضارع في العربية بقيت عالقة بالمرحلة الجديدة بعد أن استقر المضارع في العربية على صيغة (يفعل) من غير ألف ولام . ومنه أيضا الفعل (ودع) الذي أهمل اسم الفاعل منه (وادع) ومصدره (ودع) ، وبقي المضارع والأمر منه فقط (يدع) و(دع) . قال بعض النحاة : ((من الشاذ في القياس والاستعمال قولهم (اليجدع) ، وإدخال لام التعريف فيه على الفعل وقالوا : ((وكما رفضوا مثال الماضي من (يدع) فكذلك رفض المصدر واسم الفاعل فإن بعض البغداديين أنشد : حزني على ترك الذي أنا وادع .... وهذا في القلة كما تقدم)) ومن الدراسة التاريخية في اللغة ما يسمى بالأغلاط اللغوية فهذه الأغلاط تبين مدى تطور اللغة أو تغيرها بأي اتجاه ، وهذا التطور يكشف عن مرحلة تاريخية من اللغة

خطوات المنهج التاريخي

المنهج التاريخي المنهج التاريخي هو عبارة عن عمليّة إحياء للماضي، وذلك عن طريق جمع الأدلّة والتعديل عليها وتقويمها، يتمّ بعدها تمحيص تلك الأدلّة، وفي النهاية تبدأ مرحلة تأليفها في عمليّة عرضٍ للحقائق بشكلٍ دقيق وصحيحٍ في المدلولات وفي عمليّة التأليف، وذلك في سبيل استنتاج عددٍ من البراهين التي تظهر نتائج علميّة واضحة. 0Volume% ويعرّف هذا المنهج أيضاً على أنه البحث الذي يصف ويسجل الوقائع والأحداث الماضية، ويدرسها ويفسرها، ثمّ يحللها استناداً إلى أسسٍ منهجيّة وعلميّة دقيقة، الهدف منها الوصول لتعميمات وحقائق تساعد على فهم الحاضر بناء على أحداث الماضي، وللتنبؤ بالمستقبل. إضافةً لهذا فإنّ هذا المنهج يُعنى بوصف أحداثٍ وقعت في الماضي وصفاً كيفيّاً، بحيث يرصد العناصر ويحلّلها ويناقشها ويفسّرها، ويستند على هذا الوصف في استيعاب الواقع الحاضر وتوقع أحداث واتجاهات قريبة وبعيدة في المستقبل. أهميّة المنهج التاريخي تبرز أهمية المنهج التاريخي بما يأتي : يستخدم هذا المنهج لحل عددٍ من العقبات والمشاكل المعاصرة على ضوء خبرات الأحداث الماضية. يمكّن من إلقاء الضوء على أحداث واتجاهات في الحاضر والمستقبل. تؤكّد هذا المنهج الأهميّة النسبيّة

لعددٍ من التفاعلات المختلفة، والتي وجدت في الأزمنة الماضية، ومدى تأثيرها. يهيئ الفرص لإعادة تقييم المعلومات والبيانات، بالاستناد إلى مجموعةٍ من الفروض أو نظريّاتٍ أو تعميماتٍ معينة قد ظهرت في الزمن الحاضر ولم تعرف بالماضي. خطوات المنهج التاريخي يتبع الباحث الذي يرغب بدراسة ظاهرةٍ معينة حدثت في الماضي بوساطة المنهج التاريخي مجموعة من الخطوات، هي: إلقاء الضوء على ماهيّة المشكلة في البحث، (تحديد المشكلة) وفيها يتناول الباحث خطوات الأسلوب العلمي في بحثه، وهذه الخطوات هي: التمهيد لموضوع البحث وتحديده، وصياغة عددٍ من الأسئلة إضافة إلى الالتزام بالفروض وأهداف البحث وأهميّته، والإطار النظري له وحدوده، وتحديد جوانب القصور فيه ومصطلحاته، ثمّ تحديد الحادثة أو الظاهرة التاريخيّة التي يودّ دراستها. يتمّ تحديد مشكلة البحث وفق نسقين محدّدين، هما البعد الزماني والمكاني، واشترط هنا توافر عدد من النقاط، ومنها أهميّة ومناسبة المنهج التاريخي، إضافةً إلى توافر الإمكانات اللازمة للقيام به، وأهميّة النتائج التي سيتمّ التوصل إليها. جمع المعلومات والبيانات اللازمة: تتطلّب هذه الخطوة مراجعة جميع المصادر سواء كانت أوليّة أم ثانويّة، ثمّ اختيار البيانات المرتبطة بالمشكلة. نقد مصادر المعلومات: في هذه الخطوة يفحص الباحث جميع البيانات التي جمعها، وذلك عن طريق نقدها ليتأكدّ من نسبة أهميتها للبحث، ويقسم النقد هنا إلى نوعين، هما: النقد الخارجي والنقد الداخلي. تسجيل وتفسير نتائج البحث: تتطلّب هذه الخطوة عرض كافة النتائج التي تمّ التوصل إليها مع مناقشتها وتفسيرها، ويتبع الباحث عادةً ترتيباً زمانيّاً أو مكانيّاً أو موضوعيّا يتناسب مع مشكلة البحث. ملخص البحث: تعتبر هذه هي الخطوة الأخيرة، وتتطلّب عرض ملخصٍ للمعلومات التي تمّ عرضها في الجزء الميداني والنظري من البحث، ويتمّ على إثرها تقديم توصيات هذا البحث التي توصل إليها الباحث، ومقترحاته لبحوثٍ مستقبليّة.